سعد زغلول

إعداد

صلاح عبد الحميد

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب :سعد زغلول
(شخصيات مصرية)
المؤلـــف : صلاح عبد الحميد
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت-
رقم الإيداع : 3235 / 2 15
طبعة ثانية : 2 15

فهرسة أثناء النشر

صلاح عبدالحميد

سعد زغلول(شخصيات مصرية) / صلاح عبد الحميد – القاهرة .- ط1
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع
8 ص ؛ 24 سم
تدمك :-8-53-6169-977
1 – الرجال – تراجم
2- النساء - تراجم
أ. العنوان7 و92

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن

يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)

صدق الله العظيم

طه 114

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الماضي لا يماثل المستقبل ، الماضي شيء ، والمستقبل شيء آخر ، الماضي انتهى ، والمستقبل جاهز للتفصيل حسب المقاس الذي ترغبه

أنتوني روبنز

مصر بلدنا الحبيب ستظل فى قلب شعبك مهما كانت الظروف , سنظل نكافح من أجل أن نرفع أسمك علياً فى الأفاق , مر عليك شخصيات كثيرة أثبتوا لكى يا حبيبتى كم ضحوا من أجلك ، كم كا نوا يزرعون الحب والخير والنماء .

على ضفافك تعلمنا الكثير رأينا كم أنتى عظيمة بأرضك وخصوبتك مهما أختلف الزمان ، وجاء الوقت اليوم لنتسلم الراية من شخصيات أثرت وعمروا لنحافظ عليكى ونكمل المسيرة من أجل شئ واحد ألا و هو أنتى يا

الشخصيات المصرية والنوابغ التى أخرجتها مصر .. أكثر من أن تحصي .. وأكبر من أن تقدرها الرواية .. فعلى مدى العصور السالفة .. نبغ بمصر عشرات العلماء والأدباء والسياسيين والمفكرين والكتاب .. حتى فى مجال الأمن .. خرجت منها أساطير حفرت سجلا من ذهب فى ميادين القتال .. فى الحروب الساخنة .. والباردة على حد سواء ..

وان كنت أكتب عن بعض هذه الشخصيات ، فليس هذا حصرا لهم .. فهم أكثر من ذلك .. وليس هذا برد لما بسطوه من أعمالهم .. فهم أكبر من هذا أيضا .. هم بعض الشخصيات ذات الأثر غير العادى على مصر والبلاد العربية بل والعالم أجمعه .. وفيما أعتزمه من طرح لهذه الشخصيات الشهيرة التى يدرك مجال نبوغها القلائل، تلك الشخصيات التى اكتسبت الشهرة .. وأتمنى أن تغفروا مسبقا أى تقصير تلمحونه فى هذه الدراسة التى أكتبها لكم كخاطرة وحديث سامر فى ليالى الأدب ..

المؤلف

سعد زغلول .. النشأة والتعليم

سعد زغلول(1927 - 1858) زعيم مصري وقائد ثورة 1919 في مصر. التف حوله الشعب من الإسكندرية إلي أسوان في وقت لم تكن هناك أجهزة ووسائل اتصال أو إعلام.

حياته

ولد سعد في في قرية إبيانة التابعة لمديرية الغربية سابقًا (محافظة كفر الشيخ حاليا). تضاربت الأنباء حول تاريخ ميلاده الحقيقي فمنهم من أشار بأنه ولد في يوليو 1857 وآخرون قالوا يوليو 1858 بينما وجد في سجلات شهادته التي حصل عليها في الحقوق بأنه من مواليد يونيو . 186 كان والده رئيس مشيخة القرية حين توفي عندما كان سعد زغلول في الخامسة من عمره ، فتعهد بتربيته خاله، وألحقه بالكتاب ليتعلم مبادئ القراءة والحساب، ثم دفع به إلي الأزهر ليتلقي علوم الدين، أما والدته فهي السيدة مريم بنت الشيخ عبده بركات أحد كبار الملاك، وخاله الذي كفله هو عبد الله بركات والد فتح الله بركات، وكان سعد زغلول قد حفظ القرآن في الكتاب، وتعلم في الأزهر، حين قدم إلي مصر جمال الدين الأفغاني.

وقد تعلم على يد السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وقد حصل على ليسانس الحقوق وتعين بالحكومة الا انه فصل بسبب اشتراكه في الثوره العرابية .

عندما هزمت الثورة العرابية, تبدي للجميع أن مصر قد ركعت أمام سطوة الاحتلال وخيانة الخديوي وكبار الملاك, لكن المعتمد البريطاني لورد كرومر فاجأ الجميع بأن قال في أحد تقاريره إن مصر تذوب شوقا إلي الثورة.

ولابد للثورة من زعيم. وقد حاول الكثيرون تحديد ملامح هذا الزعيم فقال البعض مصري من أصل فلاحي, ضد الاحتلال, ضد الخديوي..[1] وفي أبريل1887، وكتب بلنت، وكان معروفا بأنه صديق لمصر رسالة إلي سالسبوري يقول فيها:" المصريون غير راضين عن الاحتلال خاصة أنه لا يوجد وزير واحد من أصل مصري رغم أن الثورة العرابية قد تفجرت لهذا السبب:.

أقترح أن يختار وزير مصري من بين الأسماء التالية: محمد عبده . سعد زغلول . إبراهيم الوكيل)[2] ، و أحال سالسبوري الرسالة إلي بارينج, وكان الرد في ظل الوضع الراهن يكون تعيين واحد من أصدقاء بلنت المصريين وزيرا أمرا مثيرا للسخرية تماما, كما لو عين أحد رؤساء قبائل الهنود الحمر حاكما عاما لكندا, إن أصدقاء بلنت ليسوا سوي متعصبين, وفاسدين, وجهلة. ورغم ذلك كانت مصر تمضي في نسيج زعامة مصرية, فلاحية, ضد الاحتلال. وكان سعد الله زغلول واحدا من هؤلاء المؤهلين لذلك, وسعد ابن لمالك ريفي متوسط, تعلم في الكتاب ثم الجامع الدسوقي ثم الأزهر.

---

[1] هولت . التغير السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة ص48 . الطبعة الإنجليزية

[2] الأهرام 2009/1/24م السنة 133 العدد 44609 عن خبر بعنوان [ثورة1919 تسعون عاما.. الزعيم1 .2] بقلم : د. رفعت السعيد

وفي أكتوبر188 اختاره محمد عبده محررا بالوقائع المصرية بمرتب ثمانية جنيهات, ويبدأ سعد الله رحلة الدفاع عن الوطن والديمقراطية, ويكتب في الوقائع(1881) المستبد عرفا هو من يفعل ما يشاء غير مسئول, ويحكم بما يرسم به هواه وافق الشرع أم خالفه. لهذا ينفر الناس من هذا اللفظ لعظم مصابهم له, وحق لهم النفور والاشمئزاز, إذ لم ينالوا من جرائمه إلا وبالا. وفي عام1882 ساعده محمد عبده كي يصبح ناظرا بقلم قضايا الجيزة (عباس العقاد . سعد زغلول . سيرة وتحية . ص67).

ولما هزمت الثورة فصل من الوظيفة, وطلب إليه أن يكتب معربا عن شماتته بالمهزومين وأن يترامي في أحضان الغالبين, لكنه أبي لرجولته(العقاد . ص19) ولم يجد سعد سوي أن يعمل بالمحاماة متسترا فقد كانت تعتبر مهنة حقيرة لكنه ما لبث أن قبض عليه بتهمة بتأسيس جماعة الانتقام التي تسعي لاغتيال عملاء الاحتلال. وكان الدليل عبارة بخطه تقول ولي في ضمير الدهر سر ظاهر. وأفرج عنه. ويبقي سعد زغلول كما يقول ألبرت حوراني علي أفكار مدرسة الشيخ محمد عبده التي تنادي بالإصلاح سبيلا لتحرير مصر(الفكر العربي في العصر الليبرالي . ص214 . بالإنجليزية).

وظل محمد عبده يسانده دوما, فقد كان صاحب اقتراح تعيينه قاضيا بعد أن قبل سعد نصيحة الأميرة نازلي بأن يتعلم الفرنسية ليصبح محاميا عصريا. والحقيقة أن صالون نازلي كان ملتقي لقادة الاحتلال كرومر مع صفوة من المفكرين المصريين(زغلول . محمد عبده . قاسم أمين وغيرهم). ولعل كرومر كان يبحث آنذاك عن أشخاص يصلحون لعمل قيادي في الجهاز الإداري.

وقد حرص القاضي سعد زغلول علي إصدار أحكام تستند إلي مفهوم ليبرالي وديمقراطي ففي إحدي القضايا استندت فيها الحكومة إلي نص قانوني يعفيها من المسئولية عن أعمال موظفيها, كتب زغلول في حيثيات الحكم الذي خالف نص القانون لا يمكن أن يكون المراد هو حماية الأعمال الاستبدادية المخالفة للعدل والقانون والمضرة بحقوق الأفراد, لأن ذلك لا ينطبق علي مبدأ الحكومات العادلة[1]. وفي حكم آخر أدان زغلول استخدام العنف لإظهار مرتكب الجرم. فهذا أشد خطرا علي النظام من خفاء الجاني، وفي الجمعية التشريعية التي انتخب وكيلا لها..

[1] عبده حسن الزيات . سعد زغلول من أقضيته . ص5

ألقي خطابا تحدث فيه عن رجال الإدارة ومسئولي الأمن قال فيه: كل هؤلاء أخشاهم كما تخشونهم أنتم. لأننا جربنا أعمالهم[2] ورغم أخطاء عديدة وجسيمة أحيانا, يواصل سعد استكمال مقومات الزعامة, فإذ توشك جريدة المؤيد علي التوقف, يمنحها سعد مالا تواصل به مسيرتها.. ومن بيت سعد زغلول صدر أول نداء لحملة جمع التبرعات لإنشاء الجامعة الأهلية.

وهكذا اقترب زغلول من أن يكون مشروع زعيم شعبي حقا. وربما لهذا السبب قرر اللورد كرومر أن يقترب منه. ولكن رغم أن كرومر قد وصف بأنه ما من إنجليزي يعرف مصر والمصريين أفضل منه(سير أوكلاند كلفن . صناعة مصر الحديثة . ص878 . بالإنجليزية) فإن كرومر كعادة المستبدين لم يستطع قياس الوجدان الوطني عند الزعيم المقبل,

ومن ثم ومع صعود السخط بعد محاكمات دنشواي والتي صمت سعد عن إدانتها بحجة أنه لا يجوز له التداخل في حكم قضائي آخر, بدأ الاحتلال خطة جديدة تميل إلي الاعتراف بالوطنية المصرية, وكان أن تولي سعد وزارة المعارف، وقد تكاثرت تفسيرات اختيار سعد لهذا المنصب لكن أهمها في اعتقادنا يأتي في برقية أرسلها كرومر للخارجية البريطانية يقول فيها إن سعدا ليس فقط أكفأ المصريين الذين تعاملت معهم وإنما هو أيضا أقواهم شخصية(من كرومر للخارجية3 مارس19 7) .

[2] أحمد فهمي حافظ . سعد زغلول في الجمعية التشريعية . ص98

أما همفري باومان فقد قال كان سعد نموذجا فريدا من الوزراء ولم يسبق أن ضم مجلس الوزراء وزيرا أكفأ منه نافذة علي الشرق الأوسط. ص72 . بالإنجليزية. لكن سعدا كان يتطلع إلي ما هو أبعد.. إلي الزعامة.

ومن ثم تصدي لنفوذ دنلوب المستشار البريطاني لوزار ة المعارف ولمشروعه بتجاهل تعليم اللغة العربية فقرر نقل التعليم من الإنجليزية إلي العربية, فأغضب الإنجليز, وأنشأ مدرسة القضاء الشرعي فأغضب الخديوي والأزهر. وأبطل التحية العسكرية للوزراء والمستشارين الإنجليز, وجعل رأس السنة الهجرية إجازة رسمية بالمدارس.

وواصل سعد معركته المصرية. ورغم بعض الأخطاء فإنه واصل صناعة نفسه كمشروع زعيم مصري, الأمر الذي دفع أحد الباحثين الإنجليز إلي القول : "لابد أن كرومر قد شعر بالخطأ في اختياره لشخص استطاع أن يصبح زعيما حقا". (فالنتين شيرول . ص77).

تقلد العديد من المناصب منها : وزيرا للمعارف (التربية والتعليم الآن) وقد عدل في كثير من المناهج وجعلها بالعربية مرة أخرى كما جعل التعليم. وبعد ذلك أصبح وزيرا للحقانية (العدل حاليا).

سعد زغلول والوفد المصرى

خطرت لسعد زغلول فكرة تأليف الوفد المصري للدفاع عن القضية المصرية عام 1918ضد الاحتلال الانجليزى حيث دعا أصحابه إلى مسجد وصيف في لقاءات سرية للتحدث فيما كان ينبغي عمله للبحث في المسألة المصرية بعد انتهاءالحرب العالمية الأولى في عام 1918م.

تشكل الوفد المصري الذي ضم سعد زغلول ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي وأحمد لطفي السيد وآخرين وأطلقوا على أنفسهم الوفد المصري.

وقد جمعوا توقيعات من أصحاب الشأن وذلك بقصد إثبات صفتهم التمثيلية وجاء في الصيغة: "نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات: سعد زغلول و.. في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى."

الوفد حزب سياسي شعبي ليبرالي، تشكل في مصر سنة1918 م، وكان حزب الأغلبية قبل ثورة 23 يوليو المصرية، التي أنهت عهد الملكية، وحولت البلاد إلى النظام الجمهوري، ولم يعد الحزب إلى نشاطه السياسي إلا في عهد الرئيس أنور السادات، بعد سماحه للتعددية الحزبية، وقد اتخذ لنفسه اسم حزب الوفد الجديد سنة1978 م.

اعتقل سعد زغلول ونفي إلى مالطة هو ومجموعة من رفاقه في 8 مارس1919 م فانفجرت ثورة 1919م في مصر التي كانت من أقوى عوامل زعامة سعد زغلول والتمكين لحزب الوفد.

وبقي حزب الوفد الذي هو حزب الأغلبية أو كما أطلق عليه الحزب الجماهيري الكبير يتولى الوزارة معظم الوقت في مصر منذ عام 1924م وحتى عام 1952م.

العقائد والأفكار

من مبادئ الوفد المعلنة السياسية والاجتماعية:

- تحقيق استقلال البلاد وحريتها وتحقيق الوحدة بين مصر والسودان.
- التمسك بميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.
- التمسك بعروبة فلسطين.
- العمل على رفاهية الشعب وترقيته عن طريق النظام الليبرالي.
- دعم النظام الدستوري الديمقراطي

أبرز الوزراء

ومن شخصيات حزب الوفد الذين تولوا الوزارة:

- عبد الخالق ثروت
- مصطفى النحاس باشا الذي تولى مرات عديدة رئاسة الوزارة في مصر قبل ثورة 1952م.
- فؤاد سراج الدين :كان عضواً في حزب الوفد سنة 1946م، ثم سكرتيراً عامًّا للحزب سنة 1948م، اختير وزيراً بوزارات الزراعة والداخلية والشؤون الاجتماعية، ثم وزيراً للداخلية والمالية معاً سنة 195 م.. ثم رئيساً لحزب الوفد الجديد سنة 1978م.

تحت لواء الوفد

كانت البداية التأييد لسعد زغلول في إنتخابات الجمعية التشريعية دائرتي السيدة زينب وبولاق تأييدا مخلصا على الرغم من من لوم اللجنة الإدارية للجزب الوطني لأمين الرافعي ، وعندما بدأت حركة الوفد في 13 نوفمبر عام 1918 رأى "أمين الرافعي" في الوفد قوة فتية جديدة يحسن الربط بينها وبين الحزب الوطني وأصبح من عناصر الحزب الوطني القريبة إلى الوفد وإلى "سعد زغلول"، وإندفع "أمين" وفي تشجيع حركة التوكيلات للوفد وإعتبره وكيلا عن الأمة وليس مجرد حزب ، وبذل "أمين" جهودا مخلصة للتوفيق بين أعضاء الحزب الوطني والقيادة الوطنية الجديدة التي يرأسها "سعد زغلول" وقال أمين تحت عنوان" ثقتنا بالوفد": "إن الوفد منذ أن عهدت إليه الأمة بأداء المهمة المقدسة قام بها خير قيام ولم يترك فرصة دون أن ينتهزها ، ولم يدع لحظة دون أن يرفع صوته مطالبا بحقوقها معلنا بتمكسه بهذه الحقوق وبالتوكيل الذي بين يديه ."

وظلت العلاقات بين "سعد" و "أمين الرافعي" تقوى بمرور الأيام دون أن تؤثر فيها إنتقادات الرافعي بعض المواقف ، وعندما إعتقلت سلطات الإحتلال "سعد زغلول" وصحبه في 8 مارس عام 1919 ، هاج "أمين" هذه الخطوة ، ثم إندلعت الثورة فإنصهر "أمين" في بوتقتها مطالبا الحزب الوطني بأن يكون وقودا لهذه الثورة ،

ومطالبا بعودة "الزعيم سعد زغلول" وقال صراحة إن الثورة أكبر من الأحزاب ، دعا إلى نبذ التعصب الحزبي ، وإختير "أمين الرافعي" سكريتيرا مساعدا للجنة الوفد المركزية وواصل "أمين الرافعي" مسيرته المؤيدة للوفد والمحبة لسعد زغلول وهاج الإعتقال الثاني لسعد وصحبه من أعضاء الطبقة الأولى للوفد إلى سيشل في 23 ديسمبر عام 1921 وظل يطالب بالإفراج عنهم وعودتهم إلى الوطن ، وعندما حاولت قوى الاحتلال والقصر أن تحول بين سعد والحكم بعد أن حصل على الأغلبية الكاسحة في إنتخابات يناير عام 1924 ، انطلق صوت "أمين الرافعي" يدافع عن حق الوفد أن يحكم مادام قد فاز بالأغلبية .

لجنة الوفد المركزية

وتم الإفراج عن سعد وأصحابه، وسافر أعضاء الوفد من ميناء بورسعيد يوم الجمعة 11 إبريل عام 1919 قاصدين إلى فرنسا ، وكان سعد باشا قد أوصى بأن تؤلف "لجنة مركزية للوفد" في القاهرة من ذوي الرأي والمكانة في البلاد لتكون همزة وصل بني الوفد والأمة ، وتعمل على تبليغ نشاط الوفد للشعب ، وتتولى تنظيم الجهاد داخل البلاد ضد الاحتلال ، وتشكلت اللجنة برئاسة :محمود سليمان باشا رئيس حزب الأمة السابق والد محمد محمود الذي أعتقل مع سعد باشا، يوم 8 مارس عام 1919م وإبراهيم سعيد باشا

وكيلا وأمينا للصندوق ومحمود أيوب حسين وكيلا وعبد الرحمن فهمي سكرتيرا، وأمين الرافعي سكرتيرا مساعدا .وأصبح "عبد الرحمن فهمي" القوة التنفيذية الضاربة ، و"أمين الرافعي" قوة فكرية – إذا صح هذا التعبير – يكتب البيانات ويدبج المقالات برأي الوفد مواقفه وتوجيهات الزعيم "سعد زغلول" ..

وهم مع حفظ الألقاب: الدكتور فؤاد سلطان أمينا ثانيا للصندوق ، والأعضاء " عاطف بركات والقمص بولس غبريال ، علي ماهر ، الدكتور محجوب ثابت وحسنين عبد الغفار وفتح الله بركات ، فخري عبد النور ، إبراهيم الطاهري ، علي محمود سليمان ، عبد الحميد إبراهيم صالح ، عبد الجليل أبو سمرة ، أمين إسماعيل ، محمد السيد علي ، إبراهيم الهلباوي ، مرقص حنا ، توفيق دوس ، محمد محمود خليل ، الشيخ محمد عزب العرب ، عبد الرحمن الرافعي ، الدكتور حسن كامل ، الدكتورمحمود عبد الرازاق، السيد خشبة ، علي محمود عبد الخالق مدكور ، محمد كامل جلالي ، محمد محفوظ ، كامل بطرس ، أحمد السيد ، دكتور حبيب خياط ، علوي الجزار ، راغب عطية ، علي المنزلاوي ، السيد حسين القصبي ، أحمد الشيخ ، عبد الواحد الوكيل ، محمود عبد النبي ، عثمان سليطا ، سالم السيد ، عبد الحميد العلايلي ، عبد الرحمن محمود ، محمد كمال أبو جازية ، بسيوني الخطيب ، حسين هلال ، وعبد الستار الباسل ."

موقف الوفد من الرافعي

عنما أصبح سعد زغلول وكيلا للجمعية التشريعية بالانتخاب عام 1913م وتقديرا منه لأمين الرافعي عرض عليه أن يتولى منصب سكرتارية الجمعية التشريعية، وإعتذر أمين حتى يتفرغ لنشاطه الصحفي ، وبعد أن أوقف "أمين الرافعي" إصدار جريدة الشعب حتى لا ينشر خبر فرض الحماية على مصر ديسمبر عام 1914 وإعتقلته سلطات الاحتلال تكلم سعد في شأن الإفراج عنه وعن زملائه المعتقلين أعضاء الحزب الوطني. تكلم مع "حسين رشدي باشا" رئيس الوزراء ومع السلطان حسين كامل .ونال سعد رذاذا الوشاية من "محمود أبو النصر" نقيب المحامين لدى السطان ، أن سعد يرغب في أن يحل محل محمد فريد في رئاسة الحزب الوطني .

وفي 24 يناير عام 192 كتب سعد زغلول من باريس إلى أمين الرافعي :

"أشكر مع إخواني حضرتكم على عبارات الثناء التي وجهتموها لنا، وما التفضل في موجب هذا الثناء إلا للأمة عضدتها بإتحادها وتمضان أفرادها ، وإننا نقدم لها أوفر تشكراتنا لإتحادها على توكيلنا وإجماعها على الإمتناع عن المفاوضة إلا بواسطتنا."

وكتب سعد زغلول في 7 مارس عام 192 م :

"سرنا أن أصدر أمين بك الرافعي جريدة الأخبار – صدرت في 22 فبراير عام 192 م – التي نرجو لها التوفيق والنجاح."

وكتب في 18 إبريل عام 192 م :

"لقد سرنا ما قرأناه في جريدة الأخبار الشارحة لمقاصد الوفد ، وحرصا على مبدئة وإلزام حدود توكيله الذي أعطته الأمة له."

وفي 7 مايو عام 192 كتب سعد زغلول لعبد الرحمن فهمي :

"قرأت في جريدة الأخبار حملة يدافع فيها حصرة أمين بك الرافعي عن الوفد وأعماله ويخطئ الخارجين عليه والناقدين لخطته فإرتحت لمفادها".

وعندما إنشق حزب الأحرار الدستوريين عن الوفد لم تنضم جريدة الأخبار إلى أي فريق.. ولكنها ناصرت سعد زغلول في كل مواقفه الكفاحية وطالبت بإعادته من المنفى وظاهرته وهو يفاوض. وعرفنا كيف دافع أمين الرافعي عن حق سعد والوفد في تولي الحكم بعد الغالبية الكاسحة التي حصل عليها في انتخابات عام 1924م .

وتعرضت جريدة الأخبار لأزمة مالية، وبادر سعد باشا إلى عرض مساعداته على أمين الرافعي الذي إعتذر شاكرا ، ثم تعرضت لأزمة أعنف في أواخر عام 1923م فكرر "سعد" عرض المساعدة فرد "أمين" قائلا :

"وقع من نفسي أحسن وأعظم ما وقع ما علمته من استعداد معاليكم لإقراضي مبلغ كبير من المال أعالج به الأزمة التي تجتازها الأخبار الآن على أن أرده عندما تتحسن أحوال الجريدة، وإني لعاجز كل العجز عن أداء واجب الشكر لكم ، وأكرر لمعاليكم شكري وإعترافي بجميل ما أظهرتموه من جميل العواطف التي لا أنساها ما حييت."

وإعتذر أمين الرافعي مرة ثانية عن قبول المساعدات .

وعندما وقع اعتداء على سعد زغلول في يونيو عام 1924م. بادر أمين الرافعي بإستنكار الجريمة وأكد على ضررها بالبلاد وسمعتها وعانقه "سعد" شاكرا نبل عواطفه وشريف مواقفه .

وكتب :عبد الرحمن فهمي" إلى سعد زغلول في 25 فبرايرعام 1925م: "نحمد الله الذي أتاح لزميلنا أمين بك الرافعي إصدار جريدة الأخبار ."

أحداث ثورة 1919

ثورة 1919 هي ثورة حدثت في مصر بقيادة سعد زغلول زعيم الحركة الوطنية المصرية. جائت هذه الثورة في ظل المعاملة القاسية التي كانت بحق المصريين من قبل البريطانيين، والأحكام العرفية التي أصدرت بحق المصريين بالإضافة إلى رغبة المصرين بالحصول على الاستقلال.

أتت هذه الثورة نتيجة مطالبة سعد زغلول بالسماح للوفد المصري بالمشاركه في مؤتمر الصلح في باريس، وعندما رفضت بريطانيا هذه المشاركة واصرار سعد زغلول عليها اضطرت إلى نفيه هو ومحمد محمود وحمد الباسل وإسماعيل صدقى إلى مالطة، فانفجرت الثوره في كل مكان في مصر واشتركت فيها عديد المصريين. وكانت أول ثورة تشترك فيها النساء في مصر، بقيادة صفية زغلول مطالبين بالإفراج عن سعد زغلول، فاضطرت السلطات البريطانية إلى الرضوخ للمطلب الشعبي وأفرجت عن سعد زغلول.

هذه الثورة أعطت لـ لبريطانيين الضوء الأحمر والتي جعلت البريطانين يقومون بإلغاء الأحكام العرفية، ووعد المصريين بالحصول على الاستقلال بعد ثلاث سنوات مقابل إبقاء قوات بريطانية في مصر.

مقدمات الثورة

في ظل المعاملة القاسية التي عاناها المصريون من قبل البريطانيين والأحكام العرفية التي أصدرت بحق المصريين، ورغبة المصريين بالحصول على الاستقلال، قامت ثورة 1919 م والتي تعتبر أول ثورة شعبية في أفريقيا وفي الشرق الأوسط، تبعتها الهند وثورة العراق والمغرو وليبيا.

أما عن لماذا قامت الثورة ؟ فقد لاقت الجماهير الفقيرة ظلم واستغلال خلال أربع سنوات هي عمر الحرب العالمية الأولي، ففي الريف كانت تصادر ممتلكات الفلاحين من ماشية ومحصول لأجل المساهمة في تكاليف الحرب، كما حرصت السلطات العسكرية على إجبار الفلاحين على زراعة المحاصيل التي تتناسب مع متطلبات الحرب، وبيعها بأسعار قليلة. وتم تجنيد مئات الآلاف من الفلاحين بشكل قسري للمشاركة في الحرب فيما سمي بـ "فرقة العمل المصرية" التي استخدمت في الأعمال المعاونة وراء خطوط القتال في سيناء وفلسطين والعراق وفرنسا وبلجيكا وغيرها. نقصت السلع الأساسية بشكل حاد، وتدهورت الأوضاع المعيشية لكل من سكان الريف والمدن، وشهدت مدينتي القاهرة والأسكندرية مظاهرات للعاطلين ومواكب للجائعين تطورت أحيانا إلى ممارسات عنيفة تمثلت في النهب والتخريب. ولم تفلح إجراءات الحكومة لمواجهة الغلاء، مثل توزيع كميات من الخبز على سكان المدن أو محاولة ترحيل العمال العاطلين إلى قراهم، في التخفيف من حدة الأزمة، كذلك تعرض العمال ونقاباتهم لهجوم بسبب إعلان الأحكام العرفية وإصدار القوانين التي تحرم التجمهر والإضراب.

اعتقال سعد

خطرت للزعيم سعد زغلول فكرة تأليف الوفد المصري للدفاع عن قضية مصر سنة 1918م حيث دعا أصحابه إلى مسجد وصيف (في قصر سعد زغلول بجوار جسر النيل) عابرين كوبري خشبي يعتبر سري في تلك الفترة وقد دمر هذا الكوبري فيما بعد لمنع الوصول إلى قصر سعد باشا زغلول وهذا الكوبري قد أُعيد الآن باسم كوبري صفية نسبة إلى ام المصريين صفيه هانم زغلول للتحدث فيما كان ينبغي عمله للبحث في المسألة المصرية بعد الهدنة "بعد الحرب العالمية الأولى" عام1918 ، وتم تشكل الوفد المصري الذي ضم سعد زغلول ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي وأحمد لطفي السيد وآخرين.. وأطلقوا على أنفسهم "الوفد المصري."

وقام الوفد بجمع توقيعات من أصحاب الشأن وذلك بقصد إثبات صفتهم التمثيلية وجاء في الصيغة: "نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات: سعد زغلول و.. في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى"، ثم اعتقل سعد زغلول ونفي إلى جزيرة مالطة بالبحر المتوسط هو ومجموعة من رفاقه في 8 مارس 1919م فانفجرت ثورة 1919م.

أحداث الثورة

في اليوم التالي لاعتقال الزعيم الوطني المصري سعد زغلول وأعضاء الوفد، أشعل طلبة الجامعة في القاهرة شرارة التظاهرات. وفي غضون يومين، امتد نطاق الاحتجاجات ليشمل جميع الطلبة بما فيهم طلبة الازهر. وبعد أيام قليلة كانت الثورة قد اندلعت في جميع الأنحاء من قرى ومدن. ففي القاهرة قام عمال الترام بإضراب مطالبين بزيادة الأجور وتخفيض ساعات العمل وغيرها، وتم شل حركة الترام شللا كاملا، تلا ذلك إضراب عمال السكك الحديدية، والذي جاء عقب قيام السلطات البريطانية بإلحاق بعض الجنود للتدريب بورش العنابر في بولاق للحلول محل العمال المصريين في حالة إضرابهم، مما عجل بقرار العمال بالمشاركة في الأحداث.

ولم يكتف هؤلاء بإعلان الإضراب، بل قاموا بإتلاف محولات حركة القطارات وابتكروا عملية قطع خطوط السكك الحديدية – التي أخذها عنهم الفلاحون وأصبحت أهم أسلحة الثورة.

وأضرب سائقو التاكسي وعمال البريد والكهرباء والجمارك، تلا ذلك إضراب عمال المطابع وعمال الفنارات والورش الحكومية ومصلحة الجمارك بالإسكندرية.

ولم تتوقف احتجاجات المدن على التظاهرات وإضرابات العمال، بل قام السكان في الأحياء الفقيرة بحفر الخنادق لمواجهة القوات البريطانية وقوات الشرطة، وقامت الجماهير بالاعتداء على بعض المحلات التجارية وممتلكات الأجانب وتدمير مركبات الترام.

في حين قامت جماعات الفلاحين بقطع خطوط السكك الحديدية في قرى ومدن الوجهين القبلي والبحري، ومهاجمة أقسام البوليس في المدن. ففي منيا القمح أغار الفلاحون من القرى المجاورة على مركز الشرطة وأطلقوا سراح المعتقلين، وفي دمنهور قام الأهالي بالتظاهر وضرب رئيس المدينة بالأحذية وكادوا يقتلونه عندما وجه لهم الإهانات.

وفي الفيوم هاجم البدو القوات البريطاينة وقوات الشرطة عندما اعتدت هذه القوات على المتظاهرين. وفي اسيوط قام الأهالي بالهجوم على قسم البوليس والاستيلاء على السلاح، ولم يفلح قصف المدينة بطائراتين في إجبارهم على التراجع، أما في قرية دير مواس محافظة المنيا, هاجم الفلاحون قطارا للجنود الإنجليز ودارت معارك طاحنة بين الجانبين.

وعندما أرسل الإنجليز سفينة مسلحة إلى أسيوط، هبط مئات الفلاحين إلى النيل مسلحين بالبنادق القديمة للاستيلاء على السفينة. وعلي الجانب الأخر كان رد فعل القوات البريطانية من أفظع أعمال العنف الذي لاقاه المصريون في التاريخ الحديث، فمنذ الايام الأولى كانت القوات البريطانية هي أول من أوقع الشهداء بين صفوف الطلبة أثناء المظاهرات السلمية في بداية الثورة.

وعقب انتشار قطع خطوط السكك الحديد، أصدرت السلطات بيانات تهدد بإعدام كل من يساهم في ذلك، وبحرق القرى المجاورة للخطوط التي يتم قطعها. وتم تشكيل العديد من المحاكم العسكرية لمحاكمة المشاركين في الثورة. ولم تتردد قوات الأمن في حصد الأرواح بشكل لم يختلف أحيانا عن المذابح، كما حدث في الفيوم عندما تم قتل أربعمائة من البدو في يوم واحد على أيدي القوات البريطانية وقوات الشرطة المصرية. ولم تتردد القوات البريطانية في تنفيذ تهديداتها ضد القرى، كما حدث في قرى العزيزية والبدرشين والشباك وغيرها، حيث أُحرقت هذه القرى ونُهبت ممتلكات الفلاحين، وتم قتل وجلد الفلاحين واغتصاب عدد من النساء.

سيد درويش وثورة 1919

كان عصره نذير شؤم على الأنظمة العربية القديمة كان أيضاً عصر قاسم أمين، الذي قال للمرأة والزوجة حقوق لقد كان من الخير لأصحاب القصور أن لا يولد سيد درويش، وقاسم أمين، وأحمد رامي، لقد حطم أولئك الاسطورة القائلة أن الثقافة من حق النخبة، لقد غنى أولئك وكتبوا للعمال والنجارين والحدادين ولمجتمع المساكين، الذين أصبح لهم دور مهم بعد ثورة 1919م.

وغنى .. يا عزيز عيني بدي أروح بلدي بلدي يا بلدي والسلطة خذت ولدي .. لقد أعطى ذلك الجيل للثورة أكثر مما اعطتهم الثورة وقد أخلصوا لقادة الثورة أكثر مما أخلص القادة لهم، وقد اندلعت ثورة **1919** في ظل أحداث عالمية شاملة كانت قد شملت ، الهند، الصين وإيرلندا، وبعض مناطق أمريكا، اللاتينية.

كانت قد إشتعلت الثورة بعد يوم واحد من اعتقال سعد زغلول ، وحمد الباسل، وإسماعيل صدقي ومحمد محمود، لم يكن سعد زغلول وإسماعيل صدقي، وحمد الباسل، هم قادة الثورة، بل كان الجوع والفقر المدقع بعد الأعوام الأربعة التي أعقبت الحرب العالمية الأولي-1914 192- 1919-1918م لقد كانت تصادر أملاك الفلاحين من أجل الإنفاق على المجهود الحربي، وتم تجنيد (فرقة العمل المصري) لهذه الأسباب، وكانت الأسعار المرتفعة هي البطل العملاق الذي قاد الثورة حيث ارتفعت الأسعار **216** عام **1918** مقارنة بنسبة عام **1914**، وارتفع القمح **31%** والسكر **149%** والفول 114% والبترول **1 3%** وهو الأمر الذي دفع سيد درويش للقول: "إستعجبوا يا أفندية لتر الكاز بروبية".

وإرتفع سعر الفحم 9 أمثال قياساً بعام 1914 وهذه الأسعار كانت بمثابة القوة الضاغطة على العمل في السكك ومصلحة البريد ومحطات الوقود، وأصبح جهد العامل العادي لا يكفيه واصبح الأمر يتطلب ساعات عمل إضافية، وهذه الأمور ملفتة جداً للإنتباه، إذ أن العمال كانوا يطالبون بتخفيف ساعات العمل، وكان الجوع والفقر يفتك بحياة الناس وأتحذت لذلك التدابير السريعة غير أن الحكومة لم تستطع ذلك فعملت على توزيع السكر والقمح وبعض المواد الغذائية بالمجان، ولأنها لم تصل إلى مستحقيها.

فقد إندلعت الثورة ليس بإيعاز من محمد محمود واسماعيل صدقي، وسعد زغلول وحمد الباسل بل بإشارة من ضغوطات الحياة اليومية وغنى سيد درويش بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى: سالمه ياسلامه رِحنا وجينا بالسلامه ومن المؤسف للثورة أنها إنتهت عند الحدود الشكلية لها وحصل قادتها على إمتيازات دستورية وإستقلال بدائي سنة 1923 وقامت أول حكومة مصرية، سرعان مادب الخلاف بينها وبين كبار المثقفين ، من أمثال: عباس محمود العقاد.

نهاية الثورة

اضطرت إنجلترا الي عزل الحاكم البريطاني وافرج الإنجليز عن سعد زغلول وزملائه وعادوا من المنفي إلي مصر. وسمحت إنجلترا للوفد المصري برئاسة سعد زغلول بالسفر إلي مؤتمر الصلح في باريس، ليعرض عليه قضية استقلال مصر.

لم يستجب أعضاء مؤتمر الصلح بباريس لمطالب الوفد المصري فعاد المصريون إلي الثورة وازداد حماسهم، وقاطع الشعب البضائع الإنجليزية، فألقي الإنجليز القبض علي سعد زغلول مرة أخرى، ونفوه مرة أخرى إلي جزيرة سيشل في المحيط الهندى(سيلان حاليا)، فازدادت الثورة اشتعالا، وحاولت إنجلترا القضاء على الثورة بالقوة، ولكنها فشلت.

من نتائج الثورة

اضطرت انجلترا بسبب اشتعال الثورة إعطاء مصر بعض حقوقها فكان:

1- إصدار تصريح 28 فبراير 1922 الذي نص على:

(أ) إلغاء الحماية البريطانية عن مصر

(ب) إعلان مصر دولة مستقلة

2- صدور أول دستور مصري سنة 1923

3- تشكيل أول وزارة برئاسة سعد زغلول 1924 (الذي أفرج عن المسجونين السياسيين) ولكن لم تترك انجلترا مصر بعد هذا التصريح ولكن تمركزت عند قناة السويس ورحل أخر حندى انجليزى عن ارض مصر في عام 1956.

عودة سعد من المنفى

ولنتأمل معاً سلوك المصريين عندما عاد سعدَ زغلول لمصر في 4 أبريل 1921 بعد نفيه الأول في مارس 1919 .. يصف المؤرخُ عبد الرحمن الرافعي , وهو أحد زعماء الحزب الوطني المشهورين بعداءهم لسعدٍ إستقبالَ الجماهيرِ لسعدِ زغلول يومذاك بقوله : (وقوبل في الأسكندرية وفي الطريق منها إلى القاهرةِ وفي العاصمة بأعظمِ مظاهرِ الفرحِ والحماسة بحيث كانت مقابلته سلسلة لا نهاية لها من الزينات والمظاهرات والحفلات والأفراحِ مما لا مثيل له في تاريخِ مصر الحديث) .

أما الدكتور محمد حسين هيكل أحد أبرز شخصيات الأحرارِ الدستوريين الأشد عداءاً لسعد زغلول فيقول في الجزءِ الأول من مذكراته : (وكان إستقبال سعد في ذلك اليوم منقطع النظير , فما أحسب فاتحاً من الفاتحيين ولا ملكاً من الملوك حظى بأعظم منه في أوجِ مجده . خفت القاهرةُ كلُها : شبابها وشيبها , رجالها ونساؤها حتى المحجبات منهن , إلى الطرقات التي سيمر بها يحيونه ويهتفون باسمه هتافات تشق عنانَ السماء , وجاء إلى القاهرة من أقصى الأقاليم وأريافها ألوف وعشرات الألوف يشتركون في هذا الاستقبال الذي جمع بين رجالِ الحكمِ من وزراءٍ ووكلاء وزاراتٍ ومن دونهم ومن طبقات الشعبِ المثقفة وغير المثقفة .

ورأى سعدٌ ذلك بعيني رأسه , فوقـ ف في سيارته التي سارت الهوينى من محطة القاهرة إلى داره يحيي بكلتي يديه هذه الجموع الزاخرة الهاتفة , المولية وجهها إلى الرجلِ الذي إجتمعت فيه آمالُ الأمة كلها) . ثم يضيف الدكتور هيكل : (ترى .. أقُدِّر للأسكندر الأكبر أو لتيمورلنك أو لخالد بن الوليد أو لـ نابليون بونابرت أن يرى مشهداً أجل وأروع من هذا المشهد ؟ وماذا كان يجول بنفسِ سعدٍ وهو يرى هذا المنظر الرائع يمر أمامه وعيون الناسِ كلهم مشدودة إليه وأفئدتهم متعلقة به وقلوبهم ممتلئة بإكبارِهِ وإعظامه ؟) .

أما المؤرخ الكبير أحمد شفيق (باشا) فإنه يصف لنا هذا المشهد التاريخي في الجزء الثاني من "الحوليات" فيقول : (لقد روى لنا التاريخ كثيراً من روايات القواد والملوك الذين يعودون إلى بلادهم ظافرين , فيحتفل القومُ إحتفالاً باهراً بإستقبالهم, ولكن لم يرو لنا التاريخ أن أمةً بأسرِها تحتفل برجل منها إحتفالاً جمع بين العظمة غير المحدودة والجلال المتناهي لم يفترق فيه كبيرٌ عن صغيرٍ , إحتفالاً لا تقوى على إقامته بهذا النظام أكبر قوى الأرض لولا أن الأمةَ المصرية أرادت أن تأتي العالم بمعجزةٍ لم يعرف لها التاريخُ مثيلاً) .

أما أحمد حسين مؤسس حزب مصر الفتاة والذي رغم خلافه السياسي مع الوفد كان رجلاً كبيراً إتسم بالموضوعية البالغة في التأريخ عندما أفاض في تصوير عظمة شخصية وجهاد سعد زغلول الوطني في كتابه "موسوعة تاريخ مصر" معطياً إياه حقه الكامل كأعظمِ زعيم في تاريخِ مصر الحديث , يكتب أحمدَ حسين في الجزء الخامس من هذه الموسوعة عن إستقبال سعد زغلول يومئذ فيقول : (وصل سعد زغلول باشا إلى القاهرة يوم 4 أبريل . وفي ختام الجزء الرابع تحدثنا عن الإستقبالِ "الخُرافي" أو فلنقل الأسطوري الذي إستقبلت به مصر سعداً حكومةً وشعباً , ولا غرابة في ذلك فقد كان إبرازُ هذه المشاعرِ وإتخاذها سعدَ زغلول رمزاً لها هو أسلوب الأمةِ في التعبيرِ عن إرادتها, وقد إستمرت الإحتفالاتُ بعودة سعد زغلول تتجلى لعديدٍ من الأيامِ في الوفودِ التي هرعت من أنحاء البلاد لتحية سعدٍ ...

وإذا كان من نواميسِ الطبيعة أن يكون لكلِ فعل ردَ فعل , فلا بد أنه كان لهذا الإستقبال "الخُرافي" رد فعل في مختلفِ الأوساطِ المعادية للشعبِ , وفي الشعب وفي نفس سعد زغلول على السواء . فأما أعداءَ الشعبِ وعلى رأسهم إنجلترا فلا بد أن يكون الإستقبالَ قد أفزعها ورأت ما ينطوي عليه من معانٍ , حيث تضامن الشعبَ وتكتل خلف الرجل الذي أصبحت إنجلترا تعتبرهِ خصماً لدوداً لها . ولا بد أن يكون السلطانُ أحمد فؤاد قد أفزعه بدوره أن يصبح في مصر إنسان بكل هذه القوة) .

أما عباسُ العقاد فإنه يصف لنا مشهدَ عودة سعد زغلول يوم 4 أبريل 1921 فيتحدث في الفصل الثالث والثلاثين من كتابه "سعد زغلول – سيرة وتحية" فيقول : (ملك سعد ناصية الموقف من ساعة وصوله إلى شاطئ الإسكندرية , وثبت في عالمِ العيان لمن كان في شك من الأمر أن هذا الرجل أقوى قوة في سياسة مصرَ القومية , وأن كل إتفاقٍ بين مصر وإنجلترا يتم على الرغمِ من هذا الرجل أو مع إغفالِ شأنه وتهوين خطرهِ مستحيل) . (لقد كان اليوم الرابع من أبريل – يوم وصوله الإسكندرية – يوم الجيل بأسرهِ في العالمِ بأسرهِ , ولك أن تقول وأنت آمن من الغلو أن إستقبال سعدٍ في ذلك اليوم وفي اليوم الذي بعده كان أفخم إستقبال لرجل من الرجالِ في أوائل القرن العشرين , فقد إنتظمت مصر موكباً واحداً للحفاوة به من شاطئ البحر بل من مدخل الميناء إلى عاصمة الديار المصرية وإرتفعت الزيناتَ وأقواسَ النصرِ من سلَمِ الباخرةِ إلى حجرتِه في فندق "كلاردج" الذي نزل فيه , وكان الناظرُ لا يرى في كلِ مكانٍ إلاّ صورةِ سعد ولا يسمع إلا الهتافَ وأناشيدَ المترنمين بذكره .

وإنقضى أسبوعٌ قبل وصوله والوفود تتزاحم على الإسكندرية من أقصى القطر إلى أقصاه حتى تعذر المبيتُ في الفنادقِ ولجأ الناسُ إلى البيوتِ يسألون أصحابَها أن يؤوهم إلى مكانٍ يسكنون إليه ريثما يحين اليوم الموعود .

ولم تبق شرفةٌ في الطريـ ق إلا غالى المستأجرون بثمنِ الوقفة فيها بضع ساعاتٍ حتى نيفت أجرةُ الشرفةِ على أُجرةِ البيتِ , وضاقت الطرقاتُ عن مسيرِ المركباتِ وأوشكت أن تضيق عن مسير الأقدام من مجاز لمجاز. ولما إستقل القطار من الإسكندرية إلى القاهرة تلاحقت الجموعُ على طولِ الطريقِ تأبى إلا أن تستوقفه مرات في غير مواضع الوقوف ومنهم من كانوا يترامون على القضبانِ في بعض القرى الصغيرةِ ليغتنموا لحظة من الوقت يقف فيها القطار ويطل فيها الزعيم على المستقبلين .

وخرج كلُ مستطيع الخروج في مدينة القاهرة إلى الطريق ما بين باب الحديد إلى بيت الأمة يرقبون الصباح ساعة قدوم الرئيس في نحو الخامسة من المساء فلما لاح لهم في سيارته نسوا أنفسهم أفراداً وذكروا أنفسهم قوماً واحداً لا إختلاف فيه بين صوت وصوت ولا بين دعاءٍ ودعاءٍ وبلغ من نسيان النفس وغلبة الوجدان على الإرادة أن أناساً كانوا يتسلقون الأشجار والأسوار أرسلوا أيديهم يصفقون وهم لا يدرون أنهم معتصمون بتلك الأيدي من خطر الوقوع ... ولا خطر في الحقيقة من الوقوع حيث لا أرض في طول الطرق إلا وقد غشاها ألوف الواقفين) ...

كانت تلك بعض كلمات "العقاد" في وصف إستقبال الشعب المصري لسعد زغلول يوم الرابع من أبريل **1921** بعد كلمات "عبد الرحمن الرافعي" و"محمد حسين هيكل" و"أحمد شفيق " و"أحمد حسين" وكل منهم يروى ما عاصره ورآه لا ما حُكيَّ له أو تناقله الرواةُ .

ثم نتساءل هل كان سعد ملكَ مصر؟ .. أم رئيس جمهوريتها؟ .. أم رئيس وزارئها؟ .. أم وزيراً ؟؟ . والإجابة عل ى كل تلك الأسئلة بالنفي : فلم يكن سعد ملكاً أو رئيساً ولم يكن رئيس حكومة ولم يكن وزيراً ولم يكن يشغل أي منصب رسمي عندما استقبله شعب مصر بهذا الاستقبال .

وهنا تكمن عبقرية سعد زغلول : فبدون سلطة , حيث كان رأس الدولة هو السلطان فؤاد ورئيس وزرائها هو عدلي ي كن , وبدون مؤسسات رسمية تحشد المواطنين في الشوارع , وبدون وزير إعلام يسخر أدوات أجهزة الإعلام لتسليط الأضواء على وجه وإسم رئيسه , وفي ظل الوجود الحربي البريطاني المعادي لسعد زغلول والذي كان قد نفاه قبل سنتين إلى مالطة مما فجر ثورة 1919 , وبدون أي حول ولا طول إلا شخصية سعد زغلول العامرة بمؤهلات الزعامة الحقيقية , إستقبلت مصر سعداً كما لم تستقبل أحداً من قبله أو بعده ممن لاحظ لهم من "المناصب الفخيمة". وذلك سر عبقرية هذه الزعامة التي نضجت بدون الإستناد على منصبٍ رفيع تسخر له كل الوسائل والأجهزة .

وكم أود أن يطالع شباب مصر كلمات الصحفي الكبير عبد القادر حمزة والتي يصف فيها عظمة سعد زغلول عندما ألقى الإنجليز القبض عليه للمرة الثانية يوم 23 ديسمبر 1921 ، وسعد زغلول يومذاك على مشارفِ السبعين من عمرهِ ...

يقول عبدُ القادر حمزة في كتابه "إذكروا سعداً" : (وما مضت دقيقتان أو ثلاث دقائق حتى ضج فجأة كل الذين حولي ، فإذا سعد مقبل وأمامه ضابطان ومن خلفهِ حاجبه وخادمه ؛ وهم جميعاً يمشون في نطاقٍ من الجنودِ . رأيته يمشي بعد أن نزع من أهلهِ وبيته وأحيطَ بالجندِ والسلاح وفتح أمامه باب التضحية على مصراعيه مجهول الأول مجهول ال آ خر ، فأُ قسمُ ما رأيت فيه وفي مشيته إلا بطلاً عالي الرأس مطمئن النظرات ... وودتُ أن رآه معي في تلك الساعةِ كلُ أبناءِ مصرَ .

إذن لرأوا سعدَ هم أسداً وهو أثبت ما يكون حين تنازله الحادثاتُ . كان يمشي هادئاً منبسط الجبين ليس في خطوه إسراع ولا تثاقل ولا في نظراتهِ ولا في حركاتِ جسمهِ أثر واحد يدل على قلقٍ أو إضطرابٍ , ويده اليسرى في جيبِ معطفهِ ويده اليمنى تحرك عصاه حركةً عاديةً منتظمةً كأنه لا يرى لكل ما هو و اقع ولا لكل الذين محتاطون به وجوداً أكثر من العدمِ . وما رأيته تلفت يميناً أو شمالاً) .

نتائج الثورة الاجتماعية

اعتراف الحكومة البريطانية

اعترفت الحكومة البريطانية في فبراير 1921 أن الحماية علاقة غير مرضية وأعلنت الغاءها في تصريح 28 فبراير 1922 وحق الشعب المصري الشرعي في حكم نفسه بنفسه وإقرار حقوق المصريين وحرياتهم السياسية والشخصية بإقرار الدستور نظاما للحكم وإعلانه عام 1923 والذي قرر سلطة الأمة وحد من سلطة الفرد ومن التدخل الأجنبي وهي بذلك قد أفلحت فيما أخفقت فيه الثورة العرابية من حيث تقرير الدستور نظاما للحكم في مصر كما يقول أحد المؤرخين الثورة والنهضة الاجتماعية

كان للثورة كذلك أثرها في تطور النهضة الاجتماعية وازدياد عناصر النشاط فيها اذ أخذت طبقات المجتمع . كما يقول عبدالرحمن الرافعي . تحت تأثير الثورة تسلك مرحلة جديدة من مراحل العمل والنهوض وأول ظاهرة للتطور كانت ذيوع الروح الرياضية في الشباب وغيرهم وتأليف الجماعات والنوادي الرياضية وفرق الكشافة المصرية في المدن والأقاليم وتأسست في أبريل 192 جمعية الكشافة الأهلية وكان نمو الروح الرياضية نتيجة للروح التي أوجدتها الثورة في النفوس الثورة

والنهضة النسائية وكان لثورة 19 أيضا أثرها في النهضة النسائية فقد اعتادت النساء تأليف المظاهرات وإلقاء الخطب في التجمعات وتأليف الجمعيات ونشر آرائهن في الصحف والمجلات وساهمن في تطور الحوادث العامة والقيام بأعمال البر والإحسان خاصة بقصد النهوض بالطبقات الشعبية النهضة التعاونية والعمالية وأشار المؤرخون الي أن الثورة كان لها أثر فعال في النهضة التعاونية والعمالية بعد أن كانت قد ركدت خلال الحرب العظمي الأولي

حيث بعثت من جديد الحركة التعاونية وزادت الجمعيات التي انتشرت في العواصم والمدن والقري عام 192 وكان لها فضل كبير في مكافحة الغلاء والتيسير علي الطبقات الفقيرة واستأنف التعاون نشاطه في الريف والحضر الثورة والنقابات

ونشطت الحركة العمالية خلال الثورة وفي أعقابها وزاد شعور العمال بالتعاون والمطالبة بحقوقهم وكثرة مطالبهم فألفت الحكومة في اغسطس 1919 لجنة للتوفيق بين العمال وأصحاب العامل وتعددت النقابات العمالية وسرت الروح النقابية

كما يشير أحد المؤرخين كالمعلمين والخبراء والصحفيين والأطباء والتجار وبعض الموظفين فشرعوا من ذلك الحين في تأسيس نقابات لهم

وبذلك كان للثورة أثر في النهوض بكافة الجوانب الاجتماعية النهضة الاقتصادية ظهرت في أعقاب الثورة دعوة الزعيم الاقتصادي طلعت حرب الي تأسيس بنك مصر في أغسطس 1919 وناصره الشباب وأيدوه وبثوا دعوته بين طبقات الشعب في المدن والأقاليم فنجحت الدعوة الي هذه المؤسسة العظيمة وتأسس البنك عام 192 الذي كان نواة للنهضة الاقتصادية والمالية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولي وهي الثمرة الاقتصادية للثورة

ويؤكد عبدالرحمن الرافعي المؤرخ الكبير أن الروح العامة التي أوجدتها الثورة في النفوس كان لها أثرها في نجاح دعوة طلعت حرب مشيرا الي أن الدعوة الي تأسيس البنك الوطني كانت قد ظهرت إبان الثورة العرابية ثم تجددت قبل الحرب العالمية الأولي

وقبل ظهور ثورة 19 بأكثر من 1 سنوات لكنها لم تلق من الأمة التأييد الذي يكفل لها النجاح وهو ما يؤكد أن الثورة بعثت في نفوس الشعب قوة معنوية كفلت نجاح الدعوة الي تأسيس بنك مصر نجاح معنوي أما النجاح الذي يرتبط بتاريخ الثورة القومي حيث تألفت من الثورة . كما يقول المؤرخ . صفحة مجيدة من البطولات والتضحية جديرة بأن تحيي في النفوس روح الإخلاص للوطن التي هي عدة النضال والكفاح فصفحات المجد في حياة الأمم لا تبلي عظمتها ولا تنال منها السنون فثورة 19 كانت بحق معينا لا ينضب لعقيدة الإخلاص للوطن سعد زغلول قال عن الأقباط شأنهم شأننا ثورة 19 وعقيدة الإخلاص بين المسلمين والأقباط

الاجتماع الذي شهدته الكنيسة المرقسية

ويصف أحد كبار المؤرخين الاجتماع الذي شهدته الكنيسة المرقسية في 21 نوفمبر بأنه كان مظهرا بديعا للتضامن القومي ففي21 نوفمبر استاء الأقباط من موقف رئيس الوزراء القبطي يوسف وهبة باشا وقبوله تأليف الوزارة واجتمعوا في الكنيسة المرقسية وأعلنوا سنحطمهم علي وهبة باشا وقبوله الوزارة وقالت الطائفة القبطية المجتمعة وفيها 2 قبطي أنها تحتج بشدة علي شائعة قبولكم الوزارة وقالت أيضا إذا هو القبول قبول للحماية الانجليزية علي مصر ولمناقشة لجنة ملنر وهذا يخالف ما اجتمعت عليه الأمة وطلب الاستقلال وقالت الطائفة نستحلفكم بالوطن المقدس وبذكري أجدادنا العظام أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن وفي 12 ديسمبر 1919 شهدت ذات الكنيسة اجتماعا عظيما من السيدات المصريات مسلمات وقبطيات للاحتجاج علي وزارة يوسف وهبة باشا وقدوم لجنة ملنر وأصدرن بيانا برأيهن وتأييد مقاطعة لجنة ملنر والاحتجاج علي قدومها والتمسك بالاستقلال التام وكان سينوت حنا من الشخصيات القبطية البارزة وقد تجلي التآلف الوطني واقومي في شخصه وقيامه بافتداء الزعيم مصطفي النحاس ولد سينوت حنا في أسيوط 188 من عائلات الصعيد العريقة وكان من أصدقاء مصطفي كامل وعرف سعد زغلول في الجمعية التشريعية وانضم الي الوفد المصري في نوفمبر 1918 وكان من الموقعين علي النداء الموجه الي الشعب في 24 مارس 1919

سنوت حنا يحمى بجسده مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد

كما يشير المؤرخ عبدالعظيم رمضان وانتخب عضوا بمجلس النواب المصري عام 1924 وافتدي بنفسه أثناء النضال ضد إسماعيل صدقي فقد تلقي سينوت حنا عن مصطفي النحاس طعنة السونكي التي طعنه بها أحد الجنود الذين اعترضوا سيارة النحاس في مدينة المنصورة يوم 28 يوليو لإيقاف الركب عن سيره

عندما كان صدقى باشا رئيس للوزارة ووزير للداخلية ، كان قد ضاق ذرعا بشعبية النحاس باشا (رئيس حزب الوفد) وإلتحامه بالجماهير فى مختلف مدن وقرى مصر ، واكان تشتعل فيها المظاهرات المعادية للحكومة والمطالبة بإسقاط الدستور الملكى دستور 3 وعودة دستور 23 ، وكان النحاس باشا عندما يصل بالقطار الى إحدى المدن ..... ، يغلق الجنود المحطة ويمنع من الخروج منها والدخول اليها ويظل قابعا الى أن يضطر الى العودة الى القاهرة، فيبادر الى التسلل اليها بالسيارة ، مثلما فعل فى مدينتى بنى سويف والمنصورة ، حيث آثر صدقى باشا بطرق ملتوية إفشال عقد إجتماعات للنحاس مع أنصاره ... وإجباره على العودة الى القاهرة بدون إلقاءه خطبه الحماسية ، وأأصدر قراراً حظر التجمهر ومبادرة قوات الأمن بفض التجمعات الجماهيرية بالقوة والقبض على المشاركين فيها وتقديمهم للمحاكمت .

إطلاق الرصاص على النحاس باشا فى بنى سويف

وقد حدث فى بنى سويف ، أنه ما أن وصل النحاس باشا حتى ألتفت حوله الجماهير ، فأمر صدقى باشا بإطلاق الرصاص على النحاس فى سيارته ليتخلص منه الى الأبد .... ، لكن الجماهير بعنفوانها أحاطت بزعيمها ، وراح أفرادها يتلقون عنه طلقات الرصاص ونجا النحاس باشا ولم يصب ، بينما كانت المدينة كلها قد أصبحت شعلة متقدة بالوطنية والفداء ، وقد أدرك صدقى أن محاولة قتل النحاس بالرصاص فاشلة ،

في يوم من أيام عام 1934 تذكر الكاتبة لطيفة الزيات في أوراقها الشخصية (حملة تفتيش، كتاب الهلال، العدد 2 5، أكتوبر 1992).. حين رفض إسماعيل صدقي السماح لزعيم الوفد بزيارة الأقاليم وعندما أوقف حركة القطارات وصل موكب النحاس إلي المنصورة في السيارات، فهرعت البلدية إلي حفر الخنادق في الشوارع الرئيسية لتحول دون تقدم الموكب. وكانت الشوارع تعج بآلاف المتظاهرين، فحملوا سيارة الزعيم علي الأكتاف متجاوزين بها الخنادق. وتدخلت الشرطة بإطلاق الرصاص، فانحسرت الأمواج البشرية موجة بعد موجة، و«مع بنادق سوداد طويلة كابية، ومع قذائف الطوب تنهال علي رجال البوليس، مع الأجساد تتعري للرصاص والملابس تتحول إلي مشاعل توقد شعلة العشق والموت، مع أربعة عشر قتيلا عدتهم الصبية قتيلا بعد قتيل وعربة الإسعاف في كل مرة تنصفق، مع شارع العباسي في مدينة المنصورة في يوم من أيام 1934، وقد تفجرت أحشاؤه وانطرح مغتصبا، وحفنة متبقية من رجال البوليس،.

محاولة أخرى لقتل النحاس بطعنة مسمومة وقتل بدلاً من سينوت حنا

قرر صدقى باشا أن يقتل النحاس طعنا بحربة مسمومة ، وهو ما وقع بالفعل ، حين زار النحاس باشا المنصورة، حيث هبت الجماهير لتحيته وإستقباله، وكان إلى جواره رئيس لجنة الوفد فى المنصورة " سينوت بك حنا" ، وبين ضربات الجند للجماهير ، تقدم جندى من فرقة الهجانة السودانية (*) حيث إنقض بسونكى (حربة) بندقيته المسموم الى صدر النحاس ، فأرتمى سينوت حنا على صدره وتلقى الطعنة عنه ولقى مصرعه ومات شهيدا ، وفى الصفحات التالية تعرض ملحمة البطولة والفداء لشعب بنى سويف فى إستقباله للنحاس

تناول «مرسال دحدح» معارك الوفديين بالمنصورة مع حكومة صدقي بصورة تتحد مع رؤيا الكاتبة لطيفة الزيات، وإن اختلفت زوايا المنظور. وبدت نبرات صوت مرسال حزينة آسية عندما تذكر موت أخيه الذي كان يخطط «لمقاومتنا البطولية لبطش صدقي المعروف بعدائه الشديد للوفديين وزعيمهم مصطفي النحاس» وكان مرسال وقتها في بداية الشباب يشتغل مع أخيه في نجارة الأبواب والشبابيك في حي الحوار المشهور بأنه قلعة الوفد، وكان النحاس يأتي للحي عند زيارته للمنصورة. وينزل في ضيافة محمود بك نصير في قصره علي النيل المسمي «بيت الأمة» ، والملاصق لقصر محمد الشناوي باشا قطب الوفد في الدقهلية.

وفي ضحي يوم جاء النحاس يرافقه سينوت حنا، واستقبلته المئات علي رصيف المحطة. وأطل عليهم من نافذة العربية رافعا يده بالتحية وقذف شقيق مرسال بمنديله نحوه فسقط علي أرض العربة. وانحني النحاس باشا والتقط المنديل وألقي به إلي صاحبه فارتفع صياحه «في مسيرته» يهتف بحياة زعيم الوفد، وتدفقت مئات من حي الحوار يرحبون بالزعيم. والتفوا حوله في شارع المدير يحاولون مصافحته. وفجأة أطاحت قوات البوليس بالمتدافعين. واخترق أحد العساكر الجماهير المحيطة بالزعيم مسدداً سونكي البندقية إلي صدره، وفي لحظة احتضنه سينوت حنا، وهاج الأهالي وتدافعوا نحو النحاس «وسقط أبو الليل مريض الصدر تحت الأرجل وهو يحاول الوصول إلي النحاس ليحضنه». وهاجمت عساكر الخيالة القادمة من شارع البحر الأهالي يضربون الرؤوس والأجساد بالعصي «بينما تعالي الصياح هاتفين بسقوط صدقي عدو الشعب»،

تصريح 28 فبراير

تصريح 28 فبراير 1922 هو تصريح أعلنته بريطانيا من طرف واحد في لندن والقاهرة في هذا التاريخ. أعلنت فيه إنهاء الحماية البريطانيه على مصر، وان مصر " دوله مستقلة لها سيادة "، لكن احتفظت بريطانيا بحق تأمين مواصلات إمبراطوريتها في مصر، وحقها في الدفاع عنها ضد أي اعتداء أو تدخل اجنبى، وحماية المصالح الأجنبية والأقليات فيها، وإبقاء الوضع في السودان على ما هو عليه.

وكانت الحركة الوطنية تسعى في ذلك الوقت إلى تحرير مصر من الاحتلال البريطاني وليس الانفصال عن الدولة العثمانية والاستقلال التام عنها لان ذلك في نظر الشعب المصري من شأنه أن يفتت وحدة العالم الإسلامي، ولكن هذا الوضع اخذ يتغير عندما قامت الحرب العالمية الأولى(1914 – 1918م) ودخلت الدولة العثمانية في حرب ضد إنجلترا، وقد انتهزت إنجلترا الفرصة لإنهاء السيادة العثمانية وفرض الحماية البريطانية في نوفمبر1914م.

وفي الوقت نفسه كانت الظروف العالمية تتهيأ على نحو يخدم الشعب المصري، فلكي تجذب الولايات المتحدة شعوب العالم للتحالف ضد ألمانيا وتركيا والنمسا, لذلك أعلن رئيسها ولسون مبدأ حق تقرير المصير ومبدأ تأليف عصبة الأمم لحل المشكلات سلميا ودون حرب، وعد انتهاء الحرب وهزيمة الدولة العثمانية وسقوط فكرة الجامعة الإسلامية معها أدرك الشعب المصري أنة غير ملزم بقبول السيادة العثمانية وبرزت فكرة الجامعة المصرية) القومية المصرية) وهكذا تبلورت الحركة الوطنية حول فكرتين أساسيتين:

- **إنهاء الاحتلال البريطاني.**
- **إعلان مصر دولة مستقلة ذات سيادة.**

وقد تعلق أمل المصريين في تحقيق هذين الهدفين على مؤتمر الصلح المقرر عقدة في باريس 28 يونيه 1919م، وقد اندهش المندوب السياسي البريطاني عندما تحدث سعد زغلول وأصحابة عن السماح لهم بالذهاب لمؤتمر الصلح لأنهم تحدثوا عن الشعب لذلك ألف سعد زغلول واعوانة (الوفد المصري (وعندما علمت إنجلترا بالتحالف قررت نفى سعد زغلول وبعض أعضاء الوفد إلى جزيرة مالطة واندلعت الثورات رد على هذا الفعل، وقد شملت كل طوائف وطبقات الشعب وهنا علمت إنجلترا أنها أمام ثورة شعبية شاملة لذا سارعت بتعديل ما فعلته، وقد تمثلت التعديلات في:

- التساهل في الإفراج عن سعد وزملائه والسماح لهم بالسفر إلى باريس.
- سد الطريق أمام الوفد من خلال اعتراف دول المؤتمر بالحماية على مصر.
- الحصول على اعتراف الشعب ذاته بإرسال (لجنة ملنر) لإقناعهم.

و بذلك فوجئ الوفد المصري باعتراف المؤتمر بالحماية ولكنة لم ييأس وظل سعد زغلول في باريس يقود الحركة في مصر من خلال لجنة الوفد المركزية والتي كان لها الفضل في فشل خطة بريطانيا في إقناع الشعب حيث أمرت جميع طبقات الشعب بمقاطعة اللجنة، وهنا شعر ملنر أنة لا سبيل له مع المصريين سوى بالتفاوض وبدأت المرحلة الأولى بين (سعد وملنر) وكان هدفها إلغاء الحماية البريطانية على مصر والاعتراف باستقلال مصر التام الداخلي والخارجي ولكنها فشلت بسب إصرار بريطانيا على تحويل استقلال مصر لاستقلال شكلي عن طريق:

- حماية المصالح الأجنبية
- حرمان مصر من إقامة أي علاقات مستقلة مع دول أخرى.

و من ثم رفض سعد زغلول إبرام أي اتفاقيات واعتقل ونفى للمرة الثانية ولكن إلى جزيرة سيشل تمهيدا لإعلان ما عرف باسم (تصريح 28 فبراير) الذي نص على:

1. إنهاء الحماية البريطانية على مصر وتكون مصر ذات سيادة

2. تلغى الأحكام العرفية التي أعلنت في 24 نوفمبر1914

3. إلى حين إبرام الاتفاقيات بين الطرفين يكون لانجلترا بعض التحفظات:

- تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر
- الحق في الدفاع عن مصر ضد أي اعتداءات أو تدخلات خارجية.
- الحق في حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات.
- الحق في التصرف في السودان. و بتحليل هذه التحفظات نجد أنها لا تعطى مصر استقلال فعلى فهي تستمر في فرض الأحكام العرفية حيث :

- برر وجود جيش بريطاني في مصر أى حرمان مصر من تكوين جيش مصري.
- برر التدخلات البريطانية في شئون مصر أى فصل مصر عن السودان.

و لذلك رفضه الشعب المصري ولكن رغم ذلك فان أهم الايجابيات هو دخول مصر في المرحلة الليبرالية وتعنى الأمة المصرية أصبحت هي مصدر السلطات فلقد تألفت لجنة لوضع الدستور الجديد (دستور1923) ولكن الملك تدخل لإعطاء نفسه بعض الصلاحيات في الدستور للتدخل في الشئون حيث أصبح من حقه حـ ل البرلمان دون قيد أو شرط أو إقالة الوزارة مهما كانت رغبة الشعب، ومن هنا بدء تمرد الشعب واضح من خلال الثورات والجمعيات الوطنية واغتيال الجنود الأجانب الذي أثار ذعر الجاليات الأجنبية حيث كان يتم في وضوح النهار.

أثار التصريح :

- فى 15 مارس 1922 تغير لقب السلطان فؤاد فأصبح الملك فؤاد الأول.
- شكلت لجنة لوضع الدستور
- حل المصريين محل الأجانب فى المناصب الحكومية
- ألغيت وظائف المستشارين الإنجليز فى الوزارات
- أعيدت وزارة الخارجية
- الإفراج عن سعد ورفاقه لتهدئة الأوضاع فى مصر

ما بين دستور 1923 ودستور 1930

أتمت لجنة الدستور عملها وأصدرته فى أبريل **1923** أجرت الانتخابات العامة ونال حزب الوفد بزعامة سعد زغلول الأغلبية فأصبح من حقه أن يشكل الوزارة

وزارة سعد زغلول : يناير 1924 :

تشكلت فى يناير **1924** ؛ وتعد أول حكومة برلمانية فى مصر لم تمكث فى الحكم سوى عشرة أشهر، فقد انتهزت الحكومة البريطانية ادثة قتل السيرلى ستاك حاكم السودان العام وقائد الجيش المصري فى القاهرة فى نوفمبر **1924** ، وأرسلت إنذار للحكومة المصرية تطلب فيه:

- دفع نصف مليون جنيه تعويضا لأسرة القتيل
- سحب الجيش المصري من السودان

فرفض سعد زغلول هذه الطلبات وقدم استقالته

تولى الوزارات في مصر:

تشكلت حكومة جديدة بعد استقالة سعد زغلول برئاسة زيوار استجابت لطلبات الانجليز ولكن وزارة زيوار لم تستمر فى الحكم طويلا،وتوالت الوزارات فى مصر وكان الإنجليز والملك يعملان على تعطيل الحياة النيابية والتلاعب بالدستور وفاة سعد زغلول (أغسطس 1927).

فى أغسطس 1927 توفى سعد زغلول فخسرت مصر بوفاته زعيما قديرا ووطنيا مخلصا ،وخلفه فى زعامة حزب الوفد مصطفى النحاس باشا

دستور 193 :

فى عام 193 شكل إسماعيل صدقى (وكان من رجال الملك فؤاد) وزارة جديدة فألغى دستور 1923 وأحل محله دستور 193 وقد زاد نفوز الملك فى الدستور الجديد ،ولذلك عارض الشعب هذا الدستور مما اضطر الملك فؤاد إلى إعادة دستور 1923

معاهدة 1936:

توالى المفاوضات :

بعد تصريح 28 فبراير 1922 توالت المفاوضات مع إنجلترا ولكن هذه المفاوضات لم تصل إلى نتيجة بسبب إصرار الإنجليز على البقاء فى مصر والسودان

الموقف الدولي:

منذ عام 1935 تلبد الموقف الدولي بسبب احتلال إيطاليا للحبشة (أثيوبيا) واقترابها من منابع النيل

وخشيت مصر وإنجلترا أن تقوم الحرب العالمية الثانية ، والمشاكل بينها ما تزال قائمة دون حل. ولذلك أسرعت الدولتان لعقد المفاوضات بينهما. ورأس وفد مصر هذه المفاوضات إلى عقد معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا عام ذ936

شروط المعاهدة :

- **إنهاء احتلال مصر عسكريا ، مع بقاء القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس**
- **وضع مصر مطاراتها وموانيها وطرق مواصلاتها تحت تصرف بريطانيا فى أثناء الحرب**

-

- تعهد مصر ببناء الثكنات والمعسكرات والطرق والكباري والسكك الحديدية اللازمة للقوات البريطانية
- تساعد إنجلترا مصر فى دخول عصبة الأمم وإلغاء الامتيازات الأجنبية
- عودة القوات المصرية إلى السودان وأن تسير إدارته حسب اتفاقية الحكم الثنائي للسودان 1899
- تسرى هذه المعاهدة لمدة عشرين عاما ويتفق الطرفان على تعديلها بعد انتهاء هذه المدة

مزايا معاهدة 1936 :

- تعتبر خطوة نحو الاستقلال وأظهرت مصر بمظهر الدولة المستقلة
- تعهدت إنجلترا بمعاونة مصر فى إلغاء الامتيازات الأجنبية
- ضم مصر إلى عصبة الأمم
- عودة القوات المصرية إلى السودان
- إلغاء الوظائف الأجنبية فى الجيش والحكومة

مساوئ المعاهدة :

- **بقاء القوات البريطانية العسكرية فى منطقة القناة**
- **وضع المواني والمطارات المصرية فى خدمة القوات البريطانية**
- **إرهاق ميزانية مصر بإنشاء الخطوط الحديدية والطرق والكباري للقوات البريطانية**
- **المعاهدة أبدية فمدتها عشرين عاما**

دخول مصر عصبة الأمم :

***فى عام 1937 دخلت مصر عصبة الأمم ورحبت بها جميع دول العالم**

إلغاء الامتيازات الأجنبية :

وفى نفس العام عقد مؤتمر مونترو الذى تم فيه إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة مع وجود فترة انتقال مدتها 12 عاما تنتهي عام 1949

الحرب العالمية الثانية :

فى سبتمبر 1939 اشتعلت الحرب العالمية الثانية بين معسكرين :

- **معسكر المحور: يضم ألمانيا وإيطاليا واليابان**
- **معسكر الحلفاء : يضم إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية**

أحوال مصر والإجراءات التى اتخذتها بريطانيا أثناء الحرب :

1. أعلنت الأحكام العرفية
2. فرضت الرقابة على الصحف
3. قطعت مصر علاقاتها بدول المحور
4. تعرضت المدن المصرية للغارات الجوية
5. اعتقلت الكثير من الوطنيين
6. تجمدت التجارة الخارجية وخاصة تصدير القطن وتعذر استيراد السلع
7. تدخلت إنجلترا فى شئون مصر الداخلية وتمثل هذا فى حادثة 4 فبراير 1942

حادثة 4 فبراير 1942 :

بعد معاهدة 1936 عزل الملك فاروق مصطفى النحاس من رئاسة الوزارة وولى بعض زعماء أحزاب الأقلية؛ لكن إنجلترا كانت ترغب فى إعادة مصطفى النحاس إلى الحكم ، تدخلت إنجلترا فى شئون مصر الداخلية وحاصرت قصر عابدين بالدبابات فى 4 فبراير 1942 وأجبرت الملك على استدعاء مصطفى النحاس وتكليفه بتشكيل الوزارة ، وقد احتجت الأمة بكامل طوائفها وأحزابها على هذا التدخل فى شئون الحكم .

هزيمة ألمانيا :

فى أثناء الحرب هاجمت القوات الإيطالية والألمانية حدود مصر الغربية وتمكنت من اختراقها وتوغلت فى صحراء مصر الغربية ، لكن القوات البريطانية ومعها القوات المصرية استطاعت أن تهزمها فى منطقة العلمين غرب الإسكندرية فى نوفمبر 1942

سعد زغلول وتحرير المرأة

تحرير المرأة حركة أسست لغرض إعادة الحقوق التاريخية المسلوبة من المرأة، والقضاء على الأفكار التي تنظم المجتمع على أساس ذكوري. كانت أولى الناشطات في مجال تحرير المرأة هدى شعراوي، ثم توالت الناشطات بعدها من أجل ذلك. حمل لواء تحرير المرأة من الرجال قاسم أمين الذي كتب كتابيه المرأة الجديدة وتحرير المرأة ثم حمل اللواء من بعدهم جمال البنا في العديد من كتبه والتي على رأسها كتاب "المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء".

التأسيس وأبرز الشخصيات

قبل أن تتبلور الحركة بشكل دعوة منظمة لتحرير المرأة ضمن جمعية تسمى الاتحاد النسائي كان هناك تأسيس نظري فكري لها ظهر من خلال كتبان في مصر:

كتاب: تحرير المرأة، تأليف قاسم أمين، نشره عام1899 م، بدعم من محمد عبده وسعد زغلول، وأحمد لطفي السيد .وكتاب: المرأة الجديدة، تأليف قاسم أمين أيضاً – نشره عام 19 م

.

سبق تحرير المرأة المصرية، اشتراك النساء بقيادة هدى شعراوي (زوجة علي شعراوي) في ثورة سنة **1919**م فقد دخلن غمار الثورة بأنفسهن، وبدأت حركتهن السياسية بالمظاهرة التي قمن بها في صباح يوم 2 مارس سنة1919 م .أول مرحلة للتحرير كانت عندما دعا سعد زغلول النساء اللواتي تحضرن خطبته أن يزحن البرقع عن وجوههن. وهو الذي نزع البرقع عن وجه نور الهدى محمد سلطان التي اشتهرت باسم :هدى شعراوي مكونة الاتحاد النسائي المصري وذلك عند استقباله في الإسكندرية بعد عودته من المنفى. واتبعتها النساء فنزعن البرقع بعد ذلك.

تأسس الاتحاد النسائي في نيسان1924 م بعد عودة مؤسسته هدى شعراوي من مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما عام **1922**م ونادى بجميع المبادئ التي نادي بها قاسم أمين. مهد هذا الاتحاد بعد عشرين عاماً لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي العربي عام **1944**م وقد حضرته مندوبات عن البلاد العربية. وقد رحبت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بانعقاد المؤتمر حتى أن حرم الرئيس الأمريكي روزفلت أبرقت مؤيدة للمؤتمر.

أبرز شخصيات حركة تحرير المرأة

محمد عبده، فقد نبتت أفكار كتاب تحرير المرأة في حديقة أفكار الشيخ محمد عبده وتطابقت مع كثير من أفكار الشيخ التي عبر فيها عن حقوق المرأة وحديثه عنها في مقالات الوقائع المصرية وفي تفسيره لآيات أحكام النساء.

سعد زغلول ، زعيم حزب الوفد المصري، الذي أعان قاسم أمين على إظهار كتبه وتشجيعه في هذا المجال.

لطفي السيد، الذي أطلق عليه أستاذ الجيل وظل يروج لحركة تحرير المرأة على صفحات الجريدة لسان حال حزب الأمة المصري في عهده.

صفية زغلول، زوجة سعد زغلول وابنة مصطفى فهمي باشا رئيس الوزراء في تلك الأيام.

هدى شعراوي، ابنة محمد سلطان باشا وزوجة علي شعراوي باشا أحد أعضاء حزب الأمة (حالياً الوفد) ومن أنصار التحرير.

سيزا نبراوي واسمها الأصلي زينب محمد مراد، وهي صديقة هدى شعراوي في المؤتمرات الدولية والداخلية وهما أول من نزع البرقع في مصر بعد عودتهما من الغرب إثر حضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما 1923م

درية شفيق، من تلميذات لطفي السيد، رحلت وحدها إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراه، ثم إلى إنجلترا، وصورتها وسائل الإعلام الغربية بأنها المرأة التي تدعوا إلى التحرر من التقاليده ، ولما عادت إلى مصر شكلت حزب بنت النيل في عام1949 م بدعم من السفارة الإنجليزية والسفارة الأمريكية وهذا ما ثبت عندما استقالت إحدى عضوات الحزب وكان هذا الدعم سبب استقالتها. قادت درية شفيق المظاهرات، وأشهرها مظاهرة في عام 19 فبراير1951 م و**12** مارس1954 م بالتنسيق مع أجهزة عبد الناصر فقد أضربت النساء في نقابة الصحافيين عن الطعام حتى الموت إذا لم تستجب مطالبهن. وأجيبت مطالبهن ودخلت درية شفيق الانتخابات ولم تنجح. وانتهى دورها. وحضرت المؤتمرات الدولية النسائية للمطالبة بحقوق المرأة.

سهير القلماوي، تربت في الجامعة الأمريكية في مصر، وتخرجت من معهد الأمريكان، وتنقلت بين الجامعات الأمريكية والأوربية، ثم عادت للتدريس في الجامعة المصرية.

أمينة السعيد، وهي من تلميذات طه حسين، الأديب المصري الذي دعا إلى تحرير المراة.. ترأست مجلة حواء. وقد هاجمت الحجاب بجرأة – ومن أقوالها في عهد عبد الناصر: " كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق ؟ ". تقصد ميثاق عبد الناصر الذي يدعو فيه إلى الاشتراكية – وسخرت مجلة حواء للهجوم على التقاليد.. وهي لا تزال تقوم بهذا الدور..

سعد زغلول وعقيدة الإخلاص

بين المسلمين والأقباط

كانت السنواتَ ما بين 19 6 و191 من أسوأ السنين فيما يتعلق بتأزمِ العلاقة بين مسلمي مصرَ وأقباطِها . فخلالُ تلك السنوات وكنتيجةٍ لسياساتِ ممثلِ الإحتلالِ البريطاني في مصرَ سير الدون جورست وسلفه اللورد كرومر , والتي قامت على بذرِ بذورِ الحزازات بين المسلمين والأقباط عن طريقِ التنـ احرِ على المصالحِ بوجهٍ عام والتنافس الدامي على الوظائف بوجهٍ خاصٍ , ناهيك عن إذكاء نار التعصب ولا سيما بالإيعاذ للأقلية القبطية أن أبنائها لا ينالون حقوقهم كاملة وأن الفرص لا تتاح لهم كما تتاح للمسلمين .

نتيجة لذلك تأزمت العلاقةُ بين مسلمي مصر وأقباطها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخِ مصرَ الحديث . وقد بلغ تأزمُ العلاقةِ حداً بعيداً عندما أخذت الصحفُ اليومية تعبر عن وجهتي النظر في الخلافِ المشتعلِ بشكل زاد من إشتعالِ نارِ الخلاف .

وفي أطروحة نال بها الدكتور حسن الموجي درجة الدكتوراة في الإعلام عن موقف الصحافة الشامية من مشاكل الواقع المصري خلال السنوات ما بين 19 و1914 عرضٌ شيقَ للغاية للكيفية التي إنعكس بها هذا الخلاف على كبريات الصحف المصرية يومذاك. فقد بلغ التأزمُ أقصَاه عندما قُتلَ بطرس غالي باشا رئيس وزراء مصر القبطي يوم 2 فبراير 191 برصا صةٍ أرداه بها شابٌ مصري مسلم هو إبراهيم الورداني . وخلال هذه السنوات كان سعدَ زغلول وزيراً في كل الوزاراتِ التي تعاقبت على حكمِ مصرَ إبتداءً من وزارةِ مصطفى فهمي باشا الأخيرة (19 6 –19 8) ووزارة بطرس غالي باشا (19 8 – 191) ثم وزارة محمد سعيد باشا منذ 191 وحتى إستقالة سعد زغلول الشهيرة سنة 1912 .

خلال تلك السنوات أتيح لسعدٍ الذي ساعدته طبيعتهُ كرجلِ قانون ومحامي وقاض ذاع صيت عدله كما ساعدته ثقافته التي جمعت بين التراث والثقافة العصرية , أقول مكنه ذلك أن يراقب الأزمةَ ويقف على حقيقتها وبذورِها . أدرك سعدٌ بنظرِه الثاقبِ وحنكته التي كونتها تجارب السنين الخصبة أن "العدل" بين طرفي الأمة يقضي على أية فتنة طائفية . كذلك أدرك سعدَ زغلول أن مبادرةَ الأغلبيةِ بكفالة الشعور بالأمان لدى الأقلية هو الأمر الطبيعي والذي ستنجم عنه حالة سلم حقيقية لا ظاهرية , وأن الأقبا ط عندئذ سيكونون أبعد ما يكونون عن التعصب أو الخوف أو القلق على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أموالهم .

وقد إختزن سعدُ زغلول كل خبراته في الحياة سواءً إبان الثورةِ العرابية التي شارك فيها أو أيام السجنِ القديمة أو تجارب الحياة إبان إشتغاله بالمحاماة ثم القضاء ثم وزيراً ثم نائباً منتخباً عن الأمة في الجمعية التشريعية (1913 – 1914) ثم سنوات المخاض الأخير خلال سني الحربِ العالمية الأولى , فقد إختزن سعدُ زغلول الدرس الأعظم المستفاد من مراقبة تلك التجربة . وعندما وضعته مؤهلاتهُ الفريدة فى موضع القائد الأوحد لثورة 1919 فإن سعداً وظّف خلاصةَ تجاربه فى الحياةِ ومن بينها تجربة تأزم العلاقات بين مسلمي مصرَ وأقباطها خلال السنوات ما بين 19 6 و 1912 أكمل توظيف . فإذا بقيادته الروحية الفذة للثورةِ تجعل من فُرقاء الأمس الألداء رفقاء الثورة المشتعلة الأصفياء وجنودها الأوفياء . ورغم إعتقادي أنه لا توجد أية حاجة لتقديم الأدله على إئتلاف مسلمى مصر وأقباطها إئتلافا بالغ الروعة منذ إشتعال ثورة 1919 بسبب القبض على الرجل الذى اجتمعت ثقةُ عنصرى الأمة فيه ، حيث أن جميع المؤرخين قد أوفوا هذه الظاهرة حقها .

فإنني أودَ أن أقتطف فقرات من كتاب "موسوعة تاريخ مصر" (الجزء الرابع – صفحة 1567) للأستاذ / أحمد حسين حيث يقول فى وصف مظاهرة الشعب الكبرى يوم 17 مارس 1919 (ولعل أروع ما أبرزتة هذه المظاهرةُ الكبرى هو هذه الظاهرة التى سيطرت على الأحداث من اللحظة الأولى ، وهى ظاهرة التضامنِ الوثيقِ بين المسلمين والأقباط بعد أن تصور الأنجليز أنهم نجحوا فى التفرقة بين عنصرى الأمة ، فإذا بالمفاجأة وكم لثورة 1919 من مفاجأت ، تظهر كيف ساد التلاحم بين المصريين فى لحظة وأصبحت الكلمة التى تتردد على الشفاة "الدين لله والوطن للجميع" وظهرت الأعلامَ فى هذه المظاهرةِ الكبرى وقد رسم عليها الصليب مع الهلال).

فمن أعظم ثمار ثورة 1919 روح وعقيدة الإخلاص للوطن التي تجلت بوضوح . كما يقول المؤرخون . في اتفاق الأقباط والمسلمين من كافة فئات الشعب وطبقاته الي درجة تبادل اللقاءات والزيارات بين رجال الدين المسيحي والإسلامي في المساجد والكنائس وقام المصريون بمناسبة هذا الوئام وتعبيرا عنه . كما يقول أحد المؤرخين . بصنع أعلام وضعوا عليها الصليب مع النجمة والهلال وكان المتظاهرون يحملون أعلام جميع الدول ومنها المحايدة عدا العلم الانجليزي وكان الوفد المصري منذ تأليفه حريصا علي هذا التآلف الوطني وأن يضم بين أعضائه أقباطا ومسلمين .

يقول الزعيم سعد زغلول في مذكراته فكرنا في انتخاب جورج بك الخياط لضمه الي الوفد وقبل أن يقبل سألنا عن شأن الأقباط بعد الاستقلال التام الذي كان يسعي اليه سعد وصحبه من خلال مشروع تأليف الوفد المصـ ري فقلت سعد يكون شأنهم شأننا لا فرق بين أحد منا إلا في الكفاءة الشخصية فُسر لذلك وطلب منا أن نسجله وضع الأقباط في محاضرنا وفعلنا ذلك وذكر سعد زغلول في مذكراته وكان سينوت بك حنا أول شخص من الأقباط فكرنا فيه وكان من الأسباب التي دعت الي وضع صيغة الحق في انتخاب من نشاء وانضم بعد ذلك جورج بك الخياط وقد كلف الوفد . أثناء وجوده خارج مصر والإعداد للسفر الي أمريكا لعرض قضية مصر . قرياقوس ميخائيل المقيم في لندن بعمل نشرة تشمل أهم ما تنشره الصحف الأمريكية عن مصر وأن يسعي في استكتاب ما يمكن من الجرائد ضد لجنة ملنر لصالح القضية المصرية .

ويصف أحد كبار المؤرخين الاجتماع الذي شهدته الكنيسة المرقسية في 21 نوفمبر بأنه كان مظهرا بديعا للتضامن القومي ففي21 نوفمبر استاء الأقباط من موقف رئيس الوزراء القبطي يوسف وهبة باشا وقبوله تأليف الوزارة واجتمعوا في الكنيسة المرقسية وأعلنوا سنحطمهم علي وهبة باشا وقبوله الوزارة وقالت الطائفة القبطية المجتمعة وفيها 2 قبطي أنها تحتج بشدة علي شائعة قبولكم الوزارة وقالت أيضا إذا هو القبول قبول للحماية الانجليزية علي مصر ولمناقشة لجنة ملنر وهذا يخالف ما اجتمعت عليه الأمة وطلب الاستقلال وقالت الطائفة نستحلفكم بالوطن المقدس وبذكري أجدادنا العظام أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن.

وفي 12 ديسمبر 1919 شهدت ذات الكنيسة اجتماعا عظيما من السيدات المصريات مسلمات وقبطيات للاحتجاج علي وزارة يوسف وهبة باشا وقدوم لجنة ملنر وأصدرن بيانا برأيهن وتأييد مقاطعة لجنة ملنر والاحتجاج علي قدومها والتمسك بالاستقلال التام وكان سينوت حنا من الشخصيات القبطية البارزة وقد تجلي التآلف الوطني والقومي في شخصه وقيامه بافتداء الزعيم مصطفي النحاس .

ولد سينوت حنا في أسيوط 188 من عائلات الصعيد العريقة وكان من أصدقاء مصطفي كامل وعرف سعد زغلول في الجمعية التشريعية وانضم الي الوفد المصري في نوفمبر 1918وكان من الموقعين علي النداء الموجه الي الشعب في 24 مارس 1919 كما يشير المؤرخ عبد العظيم رمضان وانتخب عضوا بمجلس النواب المصري عام 1924 وافتدي بنفسه أثناء النضال ضد إسماعيل صدقي فقد تلقي سينوت حنا عن مصطفي النحاس طعنة السونكي التي طعنه بها أحد الجنود الذين اعترضوا سيارة النحاس في مدينة المنصورة يوم 28 يوليو لإيقاف الركب عن سيره .

أجمع المؤرخون علي أن من حق الأمة المصرية أن تفتخر بثورة 19 التي تعد من الثورات الناجحة في تاريخ الحركات القومية وأنها حققت نهوضا ونجاحا في كافة مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية النجاح السياسي للثورة وإن كانت الثورة لم تفلح في إجلاء الاحتلال فإنها قد حققت مكاسب قومية كبيرة ونجاحات علي المستوي السياسي .

وهو ما أكده ورصده المؤرخون حيث اعترفت الحكومة البريطانية في فبراير 1921 أن الحماية علاقة غير مرضية وأعلنت إلغاء ها في تصريح 28 فبراير 1922 وحق الشعب المصري الشرعي في حكم نفسه بنفسه وإقرار حقوقا لمصريين وحرياتهم السياسية والشخصية بإقرار الدستور نظاما للحكم وإعلانه عام 1923 والذي قرر سلطة الأمة وحد من سلطة الفرد ومن التدخل الأجنبي .

وهي بذلك قد أفلحت فيما أخفقت فيه الثورة العرابية من حيث تقرير الدستور نظاما للحكم في مصر كما يقول أحد المؤرخين الثورة والنهضة الاجتماعية كان للثورة كذلك أثرها في تطور النهضة الاجتماعية وازدياد عناصر النشاط فيها اذ أخذت طبقات المجتمع . كما يقول عبد الرحمن الرافعي . تحت تأثير الثورة تسلك مرحلة جديدة من مراحل العمل والنهوض .

وأول ظاهرة للتطور كانت شيوع الروح الرياضية في الشباب وغيرهم وتأليف الجماعات والنوادي الرياضية وفرق الكشافة المصرية في المدن والأقاليم وتأسست في أبريل 192 جمعية الكشافة الأهلية وكان نمو الروح الرياضية نتيجة للروح التي أوجدتها الثورة في النفوس الثورة والنهضة النسائية وكان لثورة 19 أيضا أثرها في النهضة النسائية .

فقد اعتادت النساء تأليف المظاهرات وإلقاء الخطب في التجمعات وتأليف الجمعيات ونشر آرائهن في الصحف والمجلات وساهمن في تطور الحوادث العامة والقيام بأعمال البر والإحسان خاصة بقصد النهوض بالطبقات الشعبية النهضة التعاونية والعمالية<

وأشار المؤرخون إلي أن الثورة كان لها أثر فعال في النهضة التعاونية والعمالية بعد أن كانت قد ركدت خلال الحرب العظمي الأولي حيث بعثت من جديد الحركة التعاونية وزادت الجمعيات التي انتشرت في العواصم والمدن والقري عام 192 وكان لها فضل كبير في مكافحة الغلاء والتيسير علي الطبقات الفقيرة واستأنف التعاون نشاطه في الريف والحضر الثورة والنقابات ونشطت الحركة العمالية خلال الثورة وفي أعقابها وزاد شعور العمال بالتعاون والمطالبة بحقوقهم وكثرة مطالبهم فألفت الحكومة في أغسطس 1919 لجنة للتوفيق بين العمال وأصحاب العامل وتعددت النقابات العمالية وسرت الروح النقابية كما يشير أحد المؤرخين كالمعلمين والخبراء والصحفيين والأطباء والتجار وبعض الموظفين فشرعوا من ذلك الحين في تأسيس نقابات لهم .

وبذلك كان للثورة أثر في النهوض بكافة الجوانب الاجتماعية النهضة الاقتصادية ظهرت في أعقاب الثورة دعوة الزعيم الاقتصادي طلعت حرب الي تأسيس بنك مصر في أغسطس 1919 وناصره الشباب وأيدوه وبثوا دعوته بين طبقات الشعب في المدن والأقاليم فنجحت الدعوة الي هذه المؤسسة العظيمة وتأسس البنك عام 192 الذي كان نواة للنهضة الاقتصادية والمالية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولي وهي الثمرة الاقتصادية للثورة .

ويؤكد عبد الرحمن الرافعي المؤرخ الكبير أن الروح العامة التي أوجدتها الثورة في النفوس كان لها أثرها في نجاح دعوة طلعت حرب مشيرا الي أن الدعوة الي تأسيس البنك الوطني كانت قد ظهرت إبان الثورة العرابية ثم تجددت قبل الحرب العالمية الأولي وقبل ظهور ثورة 19 بأكثر من 1 سنوات لكنها لم تلق من الأمة التأييد الذي يكفل لها النجاح .

وهو ما يؤكد أن الثورة بعثت في نفوس الشعب قوة معنوية كفلت نجاح الدعوة الي تأسيس بنك مصر نجاح معنوي أما النجاح الذي يرتبط بتاريخ الثورة القومي حيث تألفت من الثورة صفحة مجيدة من البطولات والتضحية جديرة بأن تحيي في النفوس روح الإخلاص للوطن التي هي عدة النضال والكفاح .

من أشهر اقواله

- الحق فوق القوه والأمه فوق الحكومة.
- إن اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية.
- الرجل بصراحته في القول وإخلاصه في العمل.

صفية زغلول

ولدت صفية مصطفى فهمى والتى لقبت باسم صفية زغلول فى عام 1878م لعائلة استقراطية..فوالدها هو مصطفى فهمى باشا والذى يعد من أوائل رؤساء وزراء مصرمنذ عرف نظام الوزراة بمصر فى أوائل القرن التاسع عشر .

وقد أطلق عليها أيضاً لقب "أم المصريين " وذلك لعطائها المتدفق من أجل قضية الوطن العربى والمصرى خاصةً ، حيث خرجت على رأس المظاهرات النسائية من أجل المطالبة بالاستقلال خلال ثورة 1919 .

كان لصفية دوراً كبيراً ، حيث حملت لواء الثورة عقب نفى زوجها الزعيم سعد زغلول إلى جزيرة سيشل ، إضافة إلى ذلك فقد ساهمت بشكل مباشر وفعال فى تحرير المرأة المصرية .

بعد رحيل زوجها سعد زغلول عاشت بعده عشرين عاما لم تتخل فيها عن نشاطها الوطنى لدرجة أن رئيس الوزراء آنذاك " إسماعيل باشا صدقى " وجه لها انذار بأن تتوقف عن العمل السياسى إلا أنها لم تتوقف عن العمل الوطنى بالرغم من هذه المحاولات .

توفيت أم المصريين " صفية زغلول " فى 12 يناير 1946 تاركة وراءها حياه غير تقليدية للفتاه المصرية والزوجة المخلصة المؤمنة بزوجها.

مذكرات سعد زغلول

تتميز مذكرات سعد زغلول بأنها كتبت لصاحبها ولم تكتب للجمهور وبالتالى فهى تتميز بنبرة الصدق والأمانة لأن أحداً لا يكذب على نفسه ، كما تنعدم منها الصفة الدفاعية عن النفس كما يحدث عادة فى نوع المذكرات التى تكتب لأغراض خارجية ، بل إن سعد زغلول فى هذه المذكرات ينقد نفسه نقداً لاذعاً ويدين نفسه فى بعض المسائل الخاصة ويسلم نفسه غنيمة سهلة لمن يريد أن يهاجمه بعد مماته .

لقد كان سعد زغلول على مستوى المسئولية الأدبية والشجاعة الفذة حين ترك هذه المؤلفات لبنى وطنه ، دون أن يجرى فيها أى تغيير أو تعديل على الرغم مما احتوته من جوانب شخصية بحتة كان فى وسعه تمزيقها بسهولة وإبقاء الجوانب العامة خصوصاً وأن كثيراً مما ورد فى هذه الجوانب الشخصية قد يؤثر على صورته العامة فى نظر البعض كزعيم امة وقائد ثورة لأنه يعبر عن مراحل الضعف الإنسانى الذى يحرص كثير من الزعماء على إخفاءه للحفاظ على صورة البطولة الوضاءة وحدها تخطف أبصارها الجماهير .

لكن سعد زغلول ترك هذه الجوانب الشخصية من المذكرات كما هى فأتاح لنا استكمال صورة شخصيته العامة لكى تعرف الجماهير أن البطولة ليست بطولة إلهية وإنما هى بطولة إنسانية وأن البطل هو بـ شر من البشر يخطئ ويصيب ويتعثر ويقوم ويضعف ويقوى وأنه لا إنسان معصوم من الخطأ وإنما عليه أن يبادر بإصلاح هذا الخطأ مهما كلفه ذلك من جهد وثمن .

ولعل سعد زغلول وهو يترك شخصيته للأجيال فى صورتها الإنسانية كان يدرك أنه يتيح لذوى النفوس الضعيفة والأفكار المريضة أسلحة يسعون بها لطعنه إذا شاءوا ولكن إيمانه بغلبة الحق على الباطل والفكر الصحيح على الفكر السقيم دعاه إلى إبقاء كل ما كتبه على حالة .

وقد يظن احد الموت قد فاجأ سعد زغلول دون أن تتاح له الفرصة لتدبير هذه المسألة ولكن واقع الأمر يثبت العكس فعندما فتحت وصية سعد زغلول تبين أنه أوصى بأن تكون المذكرات فى حوزة خليفته فى زعامة الوفد بالاشتراك مع ابن شقيقته فتح الله بركات على أن يتولى خليفته نشر هذه المذكرات بالطريقة التى يراها وفى الوقت الذى يراه مناسباً ، وبشرط ان يراجع المذكرات من الناحية السياسية ويراجعها من ناحية الأسرة من يقع عليه اختياره لذلك ومنذ ذلك الحين انتقلت المذكرات إلى خزانة مصطفى النحاس الخاصة .

على أنه حين تعرض الوفد للاضطهاد على يد وزارة إسماعيل صدقى باشا عام 193 خشى مصطفى النحاس على المذكرات فنقلها من خزانته الخاصة إلى بنك مصر حرصاً عليها وقد ظلت المذكرات فى هذا البنك حتىعام 1948 ، حين بدأ إسماعيل صدقى باشا فى نشر ذكرياته فى مجلة المصور وتناول فيها قصة تأليف الوفد المصرى وحاولة أن يسبغ على نفسه فيها الفضل الأول فى قيام الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى . فعندئذ رأى الوفد تكليف محمود سليمان غنام بالرد عليه ، وقد طلب غنام من مصطفى النحاس السماح له بالإطلاع على مذكرات سعد زغلول لإعداد الرد فوضعها تحت تصرفه ونشر غنام سبع مقالات فى جريدة صوت الأمة ابتداء من 12 إبريل 1948 إلى 11 مايو 1948 وكانت عبارة عن اقتباسات من مذكرات سعد زغلول .

على أنه لما كان الأستاذان مصطفى وعلى أمين فى ذلك الحين وهما من الورثة فى خصومة سياسية مع الوفد فقد اعترضا على النشر من المذكرات ولكن النحاس لم يأبه بهذا الاعتراض لمخالفته لما استقر عليه الاتفاق الذى حرر بينه وبين الورقة عموماً ، وأراد من غنام مواصلة الكتابة ولكن غنام خشى من فرض الحراسة القضائية على المذكرات فأعاد الكراسات التى اقتبس منها إلى خزانتها فى بنك مصر .

ولم تكن هذه المرة الأولى التى يستعين فيها الوفد بمذكرات سعد زغلول ، ففى يناير 1935 وبمناسبة انعقاد المؤتمر الوفدى الكبير استعان مكرم عبيد باشا بمقتطفات منها فيما يتعلق بفكرة تكوين الوفد والقاها فى الجلسة الثالثة التى عقدت يوم الأربعاء 9 يناير 1935 .

وقد ظلت المذكرات فى خزانة مصطفى النحاس ببنك مصر حتى قامت ثورة يوليو 1952 ، وألغيت الأحزاب ، فرفع ورثة سعد زغلول قضية يطالبون فيها برفع حيازة النحاس عن المذكرات ولـ كن القضاء المصرى حكم باستمرار هذه الحيازة فى إبريل 1963 على أن النحاس رأى فى ذلك الحين إعطاء الدكتور محمد بهى الدين بركات بوصفه أحد ورثة سعد زغلول حق الحراسة على هذه المذكرات وصدر حكم من المحكمة بتأييد هذا التنازل فتوجه أحد المحضرين إلى بنك مصر بقرار المحكمة ونقل المذكرات من خزانة مصطفى النحاس إلى منزل بهى الدين بركات .

ولم تلبث المذكرات أن أخذت تبرز إلى الضوء العام حين تقرر فى عام 1963 أن تستعين لجنة كتابة تاريخ مصر بمذكرات سعد زغلول وقيام لجنة مشتركة من كل من وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للوثائق ولجنة إعادة كتابة التاريخ باستلام هذه المذكرات من الدكتور بهى الدين بركات والحارس عليها كما تقرر إعداد مشروع قانون بمنع أى هيئة أو فرد ومن رعايا الجمهورية العربية المتحدة من التصرف فى أى وثائق تاريخية او مذكرات أو إعارتها لأية هيئة أجنبية أو نقلها إلى الخارج إلا بعد الرجوع إلى وزير الثقافة والإرشاد القومى .

وفاة سعد زغلول

الأزمة السياسية إثر وفاة سعد

في الثالث والعشرين من أغسطس 1927، توفي زعيم الأمة سعد زغلول ونعاه مجلس الوزراء قائلاً» مجلس الوزراء ينعي إلي الأمة المصرية مع الأسف الشديد والحزن العميق حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل وزعيم الأمة العظيم ورئيس مجلس النواب سعد زغلول باشا فقد وافاه القدر المحتوم حوالي العاشرة مساء اليوم الثلاثاء.

وفي 26 سبتمبر من العام نفسه، أيدت الهيئة الوفدية مصطفي النحاس خليفة لسعد زغلول، كان هذا في عهد الملك فؤاد، وفي أكتوبر سافر عبدالخالق ثروت إلي لندن لاستكمال المفاوضات، ثم عاد لافتتاح البرلمان في دورته الجديدة في 17نوفمبر، وألقي خطاب العرش واختير مصطفي النحاس خلفاً لسعد زغلول رئيساً للبرلمان.

وفي ٤ مارس من عام ١٩٢٨م، تصورت بريطانيا أنه بوفاة راعي هذه المفاوضات سعد باشا» زالت العقبة الكؤود في إبرام أي معاهدة مع مصر، فطلبوا من عبد الخالق ثروت أن يمضي في إبرام المعاهدة، ورفض النحاس الاتفاق وكذلك مجلس الوزراء، وقالوا إن المعاهدة لا تتفق واستقلال البلاد وسياستها، وتجعل الاحتلال شرعياً.. ورأي ثروت أن مهمته انتهت فقدم استقالته.وفي 28 فبراير 1928م .

وفي وزارة عبد الخالق ثروت أيضاً، وضع حجر الأساس لمباني الجامعة الجديدة في الجيزة، وفي 17 مارس 1928م، تم تأليف وزارة النحاس باشا بعدما عهد له الملك فؤاد بالأمر.

كانت قد تألفت من جعفر والي باشا للحربية ومصطفي النحاس للرئاسة والداخلية وواصف بطرس غالي باشا للخارجية ومحمد نجيب الغرابلي للأوقاف وعلي الشمسي باشا للمعارف وأحمد محمد خشبة باشا للحقانية "العدل" ومحمد محمود باشا للمالية ومحمد صفوت باشا للزراعة وإبراهيم فهمي كريم باشا للأشغال ومكرم عبيد للمواصلات..

وكان الإنجليز والملك فؤاد يعدان العدة للإطاحة بهذه الوزارة للقضاء علي ما بقي من روح وطنية، فإذا بالطرفين يفاجآن بأن هذه الحكومة ورغم غياب سعد في أشد صلابة وعنفاً، وكثر الصدام بين المندوب السامي وهذه الوزارة.

في التاسع والعشرين من أبريل عام ١٩٢٨ م، أثار الإنجليز أزمة قانون الاجتماعات إذ طالبوا بإسقاطه، رغم أنه كان في مراحله الأخيرة في مجلس الشيوخ، وأرسل المندوب السامي لويد المذكرة التي يقول نصها: «أتشرف بإخبار دولتكم بأن حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية في بريطانيا العظمي قد راقبت بمزيد من الاهتمام ما يبدو من رغبة الحكومة المصرية المتزايدة في المضي في تشريع مؤثر في الأمن العام.. إلي قوله"..

وإني الآن مكلف من قبل حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية بأن أطلب إلي دولتكم كرئيس للحكومة البريطانية، أن تتخذوا الإجراءات اللازمة لمنع مشروع القانون المنظم للاجتماعات العامة والمظاهرات من أن يصبح قانوناً" .فأرسلت الحكومة رداً برفض هذا الطلب وهذا الإنذار معاً.. وقالت إن تشريع مثل هذا القانون لا يعرض أمن الأجانب للخطر.

وفي 3 مايو عام 1928، تم توقيع معاهدة بين الأفغان ومصر، وفي 17 يونيو من العام نفسه تمت المؤامرة، بالاتفاق بين الإنجليز والسراي والأحرار الدستوريين، علي ضرب حكومة النحاس باشا باعتبارها حكومة وطنية.فاستقال محمد محمود باشا يوم 17 يونيو كان آنذاك وكيل حزب الأحرار الدستوريين وبعدها بيومين استقال جعفر والي باشا وتفجرت زوبعة قضية سيف الدين إذ نشرت الصحف ما سمي وقتها "وثائق سيف الدين".. وسيف الدين، هذا أحد أمراء العائلة المالكة الذي كان محجوراً علي أملاكه، فعهد في فبراير 1927م إلي مصطفي النحاس» المحامي» آنذاك، للمرافعة عنه للحصول علي حقوقه، وتعاون مع النحاس ويصا واصف وجعفر والي، واتخذ من هذا الموضوع تكئة للتشهير بالنحاس بزعم أن الأتعاب كانت باهظة.

وكانت النتيجة بعد تعاقب الاستقالات، أن قام الملك فؤاد في ٢٥ يونيو بإقالة وزارة مصطفي النحاس وبعد يومين، كلف محمد محمود باشا بتأليف وزارة جديدة وكان أعضاء الوزارة محمد محمود باشا للرئاسة والداخلية وجعفر والي للحربية والأوقاف وعبد الحميد سليمان باشا للمواصلات وأحمد محمد خشبة للحقانية "العدل" ونخلة المطيعي باشا "للزراعة" وعلي ماهر باشا للمالية وإبرهيم فهمي كريم باشا للأشغال وحافظ بك عفيفي للخارجية وأحمد لطفي السيد للمعارف «التعليم»، وسرعان ما كشفت هذه الوزارة عن عدائها للدستور والنظام النيابي، فقد بادرت في اليوم التالي بحل مجلسي النواب والشيوخ وتعطيل الدستور.وقد ودعت هذه الوزارة ذلك العام «1928» بإجراءات قمعية وتعرض الجماهير المطالبون بعودة الحياة النيابية للضرب والقمع البوليسي. ولاغرو في ذلك.. أن عرفت وزارة محمد محمود بوزارة اليد الحديدية .

دفن في ضريح سعد الذي شيد عام 1931 ليدفن فيه زعيم أمة وقائد ثورة ضد الاحتلال الانجليزي (ثورة 1919). فظلت حكومة عبد الخالق ثروت وأعضاء حزب الوفد الطراز الفرعوني حتى تتاح الفرصة لكافة المصريين والأجانب حتى لا يصطبغ الضريح بصبغة دينية يعوق محبي الزعيم المسيحيين والأجانب من زيارته ولأن المسلمين لم يتذوقوا الفن الفرعونى وكانوا يفضلون لو دفن في مقبرة داخل مسجد يطلق عليه اسمه فأهملوه حتى اتخذ الدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة قرارا بترميمه على نفقة المحافظة كما وضعه على الخريطة السياحية للعاصمة.

والأرض التي بنى عليها الضريح كان سعد باشا زغلول أشترى الأرض المقام عليها الضريح عام 1925 م وذلك قبل وفاته بعامين ليقيم عليها ناديا سياسيا لحزب الوفد الذي أسسه ليكون مقرا بديلا للنادي الذي استأجره كمقر للحزب في عمارة «سافوي» بميدان سليمان باشا – وسط القاهرة – وقامت حكومة زيوار باشا بإغلاقه.

وهذه الأرض يطل عليها من بيته ومساحته 4815 مترا مربعا وكلف سعد زغلول باشا كل من فخري بك عبد النور وسينوت بك حنا عضوا الوفد بالتفاوض مع بنك اثينا وهو الجهة المالكة للأرض، ولكن حكومة زيوار أوعزت للبنك بعدم البيع عنداً في سعد زغلول حتى لا يستخدم الأرض في اقامة مقر لحزب سياسي.

ويوم 23 أغسطس عام 1927 اجتمعت الوزارة الجديدة في ذلك الوقت برئاسة عبد الخالق باشا ثروت وقررت تخليد ذكرى الزعيم سعد زغلول وبناء ضريح ضخم يضم جثمانه على أن تتحمل الحكومة جميع النفقات وبدأ تنفيذ المشروع ودفن سعد باشا في مقبرة مؤقتا بمدافن الإمام الشافعي لحين اكتمال المبنى، كما أقامت حكومة عبد الخالق ثروت تمثالين له أحدهما بالقاهرة والآخر بالإسكندرية

واكتمل هذا البناء في عهد وزارة إسماعيل باشا صدقي عام 1931 وكان من خصوم سعد زغلول فحاول جعل الضريح الضخم لشخص واحد واقترح تحويل الضريح إلى مقبرة كبرى تضم رفات كل الساسة والعظماء ولكن صفية زغلول الملقبة بـ «أم المصريين» وزوجة سعد زغلول رفضت بشدة هذا الاقتراح وأصرت على أن يكون الضريح خاصاً بسعد فقط وفضلت ان يظل جثمانه في مقابر الإمام الشافعي إلى ان تتغير الظروف السياسية وتسمح بنقله في احتفال يليق بمكانته التاريخية كزعيم للأمة.

وفي عام 1936 تشكلت حكومة الوفد برئاسة مصطفى باشا النحاس وطلبت أم المصريين لنقل جثمان سعد باشا إلى ضريحه بشارع الفلكي والذي يطل عليه بيت الأمة وحدد النحاس باشا يوم 19 يونيو عام 1936 للاحتفال بنقل رفات زعيم الأمة بعد أن ظل في مقبرة الإمام الشافعي تسعة أعوام تقريبا وفي اليوم السابق للاحتفال ذهب النحاس باشا مع بعض رفاق سعد زغلول إلى المقبرة سرا للاطمئنان على رفاته قبل نقلها ظناً منهما أنه ربما حدث أو يحدث شيئاً لرفاة زعيم الأمة، وكان معهما محمود فهمي النقراشي باشا ومحمد حنفي الطرزي باشا والمسئول عن مدافن الإمام الشافعي ولفوا جسد الزعيم الراحل في أقمشة حريرية ووضعوه في نعش جديد

ووضعوا حراسة على المكان حتى حضر كل من أحمد باشا ماهر رئيس مجلس النواب ومحمود بك بسيوني رئيس مجلس الشيوخ في السادسة من صباح اليوم التالي ثم توالى الحاضرين إلى المقبرة من الوزراء والنواب والشيوخ وحمل النعش على عربة عسكرية تجرها 8 خيول واخترق موكب الجنازة للمرة الثانية القاهرة من الإمام الشافعي حتى وصل إلى موقع الضريح بشارع الفلكي .

وكان قد أقيم بجواره سرادق ضخم لاستقبال كبار رجال الدولة والمشيعين من أنصار سعد وألقى النحاس باشا كلمة مختارة في حب زعيم الأمة جددت أحزان الحاضرين ودمعت عيناه وبكت أم المصريين بكاء شديداً ونقلت صحافة مصر تفاصيل نقل الجثمان إلى الضريح وكتبت مجلة «المصور» تفاصيل نقل الجثمان تحت عنوان «سعد يعود الى ضريحه منتصرا«

وقـ د قام بتصميم الضريح على الطراز الفرعوني المهندس المعماري الشهيد مصطفى فهمي كما أشرف على بنائه، وتقدر المساحة الإجمالية للمشروع 4815 مترا مربعا، أما الضريح فيحتل مساحة 65 مترا ويرتفع حوالي 26 مترا على أعمدة من الرخام الجرانيت وحوائطه من الحجر، وللضريح بابان أحدهما يطل على شارع منصور وهو من الخشب المكسو بالنحاس وارتفاعه ستة أمتار ونصف وهو نسخة طبق الأصل من الباب الآخر المطل على شارع الفلكي وتغطي حوائط المبنى من الخارج والداخل بطبقة من الرخام الجرانيت بارتفاع 255سم كما ان السلالم مكسوة أيضا بنفس النوع من الرخام، ويحاط الضريح بدرابزين من النحاس والحديد والكريتال.

المراجع والمصادر

- نشأة حزب الوفد المصري 1918 ـ 1924م، محمود زايد.
- مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة 1952م، د. محمود متولي، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة 198 م.
- جريدة الوفد (الناطقة باسم الحزب) والتي لا زالت تصدر حتى الآن.
- تطور الحركة الوطنية فى مصر 1918 – 1936 . عبد العظيم رمضان . دار الكاتب العربى . 1968 . ط1 – مكتبة مدبولى . 1983 . ط2 .
- الجيش المصرى فى السياسة . 1882 – 1936 . عبد العظيم رمضان . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1977 .
- مذكرات سعد زغلول . تحقيق . الجزء الأول . عبد العظيم رمضان . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1978 .
- مذكرات سعد زغلول . تحقيق . الجزء الثانى . عبد العظيم رمضان . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1988 .

فهرس